جامعة الأزهر

كلية البنات الإسلامية بأسيوط

السنة ودورها في الارتقاء الحضاري على مستوى الفرد والمجتمع

إعداد

أ.د. نهلة محمود عبد العاطي الرفاعي

أستاذ المشارك قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين،

جامعة أم القرى، السعودية.

المؤتمر العلمي الدولي الثاني

الحضارة الإنسانية في التراث العربي والإسلامي

أصالة الأثر.. عالمية التأثير

(في الفترة من ٨ إلى ٩ فبراير ٢٠٢٥م)

الجزء الأول

١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٥م

السنة ودورها في الارتقاء الحضاري على مستوى الفرد والمجتمع

د. نهلة محمود عبدالعاطي الرفاعي

قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين،جامعة أم القرى، السعودية.

البريد الالكتروني: Dr.nahla93@hotmail.com

الملخص

حوى البحث على نماذج من سنة النَّبِيّ ﷺ وسيرته العطرة وقعت فيها أحداث فعالجها ﷺ بحكمة القائد، وحنكة المربي الناجح، فبدأ البحث بمقدمة بُين فيها أهمية الموضوع وسبب اختياره، ثم مشكلة البحث، ثم هدفه ثم حدوده ثم المنهج الذي سار عليه البحث ثم الدراسات السابقة ثم خطة البحث وقد بُني البحث فيها على تمهيد وخمسة مباحث، المبحث الأول: تحقيق بعض المبادئ، وفيه ثلاثة مطالب، المطلب الأول: تحقيق مبدأ الاعتراف بالفضل، وشخصية القائد المحنك، من خلال بعض الأحداث يوم فتح مكة، وموقف النَّبِيّ ﷺ منها، المطلب الثاني: تحقيق مبدأ الشورى في غَزْوَةِ بَدْرٍ، المطلب الثالث: تحقيق مبدأ المساواة، المبحث الثاني: التأدب بآداب الإسلام وترك ما يخالفها ، المبحث الثالث: الغيرة الفطرية وحسن العهد ، المبحث الرابع: من أكبر المعاصي فاحشة الزنا، المبحث الخامس: الإيثار مع الحاجة.

وقد توصل البحث إلى عدة نتائج منها: احتوى البحث على تسعة أحاديث، فيها أحداث وقعت في العهد النبوي، للوقوف على هديه ﷺ في معالجة هذه الأحداث واستنباط الأثر التربوي وللاقتداء والاهتداء. إن المؤمن الحق لا ينسى المعروف لمن أسدى إليه معروفًا، وأول صور رد المعروف هو الاعتراف بالفضل ثم مقابلة الجميل بالأجمل.

التوصيات: وبعد هذه الرحلة القصيرة الماتعة في سيرة النَّبِيُّ ﷺ العطرة، ورغم كل من كتب فيها، تظل مجالًا خصبًا وعامرًا بالمواقف التربوية التي يقتبس منها، ويستفاد حلولًا لمواقف شتى، فالمجال واسع والأبواب مشرعة لكل باحث في هديه ﷺ.

الكلمات المفتاحية: السنة النبوية، الارتقاء، الحضاري، الفرد، المجتمع.

The Sunnah and its role in advancing civilization at the individual and community levels

Dr. Nahla Mahmoud Abdel Ati Al-Rifai
Department of Qur'an and Sunnah, College of Da'wah and Fundamentals of Religion, Umm Al-Qura University, Saudi Arabia
Email: Dr.nahla93@hotmail.com

Abstract:

This research presents examples from the Sunnah of the Prophet Muhammad (peace be upon him) and his noble life, illustrating events that he handled with the wisdom of a leader and the skill of a successful educator. The study begins with an introduction explaining the importance of the topic, the reason for its selection, the research problem, its objectives, scope, methodology, previous studies, and the research plan. The paper is organized into an introduction, followed by five chapters.

The first chapter focuses on the establishment of certain principles, divided into three sections:

1. **Establishing the principle of recognizing merit and the character of a seasoned leader, exemplified by the events during the Conquest of Mecca and the Prophet's (PBUH) handling of the situation.**
2. **Establishing the principle of consultation during the Battle of Badr.**
3. **Establishing the principle of equality.**

The second chapter addresses the importance of adhering to Islamic etiquette and avoiding actions that contradict them.

The third chapter discusses natural jealousy and maintaining strong commitments.

The fourth chapter addresses the grave sin of adultery.

The fifth chapter emphasizes altruism in times of need.

The research concludes with several findings, including:

- **The paper incorporates nine Hadiths that document events from the Prophetic era, analyzing how the Prophet (PBUH) handled these events and extracting educational lessons for guidance and emulation.**
- **A true believer never forgets the kindness shown to them and the first step in repaying kindness is acknowledging the favor, followed by responding with greater kindness.**

Recommendations: Despite the wealth of literature on the life of the Prophet (PBUH), it remains a fertile field rich with educational moments that continue to offer solutions to various challenges. The doors are open for researchers to delve deeper into his teachings and derive valuable lessons for all areas of life.

Keywords: Prophetic Sunnah, Civilizational ,Advancement, Individual, Society.

المقدمة

الحمد لله الذي أنار لنا الطريق، وهدانا إلى سواء السبيل وجعلنا من أتباع سيد البشر أجمعين، المرسل رحمة للعالمين، وحجة للعباد أجمعين، سيدنا وحبيبنا وخيرة خلقه محمد ابن عبدالله ﷺ وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الميامين، حملوا كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ ، ونقلوهما لمن بعدهم بدقة وإتقان؛ ليقتدي مَن بعدهم بنوره ﷺ ، ويهتدي بهداه، رضي الله عنهم وأرضاهم، وجعلنا من أتباعهم بإحسان إلى يوم الدين. **أمَّا بعدُ**:

فإن السنة النبوية حملت في طياتها النور، فكانت النبراس المضيء لكل من اقتبس منها، وتتحقق سعادته بقدر إنتهاله، فهذا مقتصد وهذا مكثر، وهنيئا لمن كان فيها سابقا؛ لذا يعد العهد النبوي أنموذجا متكاملا لمن أراد أن يحيا الحياة التي يسير فيها على خطى ثابتة موثوقة وموزونة، فلنا في الحبيب المصطفى ﷺ الأسوة الحسنة، والقدوة التي يحتذى حذوها، فكان القائد المحنك الذي قاد الجيوش بنفسه، والمربي الهادئ، والأب الرحيم، والزوج الحبيب، والموجه الناصح، والحاكم العادل، والمعلم المؤدب، والجليس المؤانس، ﷺ ، فكل من التزم سنته وسلك طريقه فهو يرجو ثواب الله، ويخشى جزاء الأعمال في اليوم الأخر قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]

حرص صحابة رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم وأرضاهم على نقل أدق التفاصيل والأحداث التي سمعوها وعاينوها لمن بعدهم من التابعين، وبقي هذا الأمر كذلك فيمن بعدهم من السلف الصالح، فكان مجالا خصبا لكل من أراد أن يقتدي ويهتدي، وكل من بحث في السنة وجد مبتغاه، ومن هنا تنبثق **أهمية الموضوع وسبب اختياره**:_فطالما كانت حياة النَّبِيّ ﷺ وسيرته العطرة مجالا للتعلم والوقوف على كيفية حل المعضلات، ومعالجة الأحداث التي قد تمر بالفرد وبالمجتمع الإسلامي بأسره بأسلوب ينبئ عن رقي في التعامل بحكمة وحنكة، كان حتما ولابد الوقوف عليها.

مشكلة البحث: يَرُومُ البحث الإجابة على التساؤلات التالية:

١) نماذج لبعض الأحداث التي وقعت في عهد النَّبِيّ ﷺ في المجتمع المكي أو المدني.

٢) ما الهدي النبوي المستنبط في معالجته ﷺ لهذه الأحداث.
٣) ما الأثر التربوي المستفاد من هديه ﷺ في معالجة هذه الأحدث والتعامل معها.
٤) ما العلامات التي تدل على نبوته والتي تبدو في بعض النماذج.

هدف البحث: يهدف البحث إلى الرجوع للسيرة العطرة والوقوف على أحداث عاشها النَّبِيّ ﷺ وتعامل معها بدقة وحكمة سواء كانت في بيته مع زوجاته، أو مع أقاربه أو أصحابه أو مع أعدائه، أو مع كافة المجتمع بجميع شرائحه.

حدود البحث: جمع الأحاديث المقبولة من (الصحيحين وجامع الترمذي ومسند أحمد)

منهج البحث: يعتمد البحث على المنهج الاستقرائي والوصفي والاستنباطي وتفصيل ذلك على النحو التالي:

١) جمع الأحاديث المقبولة الواردة في الكتب المذكورة في حدود البحث والتي حدثت فيها أحداث على مستوى الفرد والمجتمع، ثم الوقوف على الهدي النبوي في معالجة هذه الأحداث، ثم استنباط الأثر التربوي لهذه الأحداث، وإن كان في الحديث علامة من علامات نبوته ﷺ ذكرته تحت عنوان علامات نبوته في الحديث.
٢) المنهج في التخريج: يُكتفى بتخريج الحديث المستشهد به من أحد الصحيحين إن كان فيهما، أو من أحد الكتب الأربعة (سنن أبي داود، جامع الترمذي، سنن النسائي، سنن ابن ماجة) ومسند أحمد، وإن اقتضت الحاجة للاستشهاد بطرق أخرى فيذكر الجزء المستشهد به في المتن ويشار لتخريجه من مصدر واحد في الهامش؛ إذ الهدف الوقوف على الحديث وهديه ﷺ في المعالجة.
٣) المنهج في دراسة السند: إن كان الحديث في الصحيحين فهذا كافٍ لصحته، وإلا فأذكر حكم المعتدلين من أئمة الحديث، وإن لم أجد فأدرس سنده لبيان رتبته.
٤) لم أترجم للمشهورين كالصحابة، إلا ما ظننت أنه بحاجة لبيان لقلة روايته كأبي لبابة.

الدراسات السابقة: إن النماذج المذكورة في ثنايا البحث هي أحاديث واردة في كتب السنة معروفة، والأحداث فيها كذلك مشهورة وليست مغمورة، ووقفت الباحثة على كتاب الأساليب النبوية في التعليم: لعلى الحشود، وهو من نشر الشاملة الذهبية، قسمه إلى مدخل وأربعة أبواب وخاتمة: الباب الأول لصفات ينبغي توفرها في المعلم، الباب الثاني لمهمات وواجبات

المعلم، الباب الثالث لصفات الرسول ﷺ المعلم، الباب الرابع لأساليب الرسول ﷺ التعليمية، وترك المجال مفتوحا أمام طلاب العلم ليستنبطوا قواعد وأساليب تعليمية جديدة من حياة الرسول ﷺ، ولم يتقاطع البحث مع بحث المصنف إلا في حديث الشاب الذي قال للنبي ﷺ: ((يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا)) [1] لأهمية الوقوف على كيفية معالجة النبي ﷺ له، وقد يكون هناك مصنفات في هدي النبي في التعليم بمسميات أخرى، فلا بأس لأن المجال خصب وكلٌّ يدلي بدلوه ويستقي، كما وقفت الباحثة على مقالات متفرقة على مواقع التواصل الاجتماعي كرؤوس أقلام لا تعطي الموضوع حقه من البيان، وقصدت الباحثة ببحثها كيف رسخ النَّبِيّ ﷺ مبادئ أساسية يقوم عليها المجتمع، وكيف عالج أحداث قد تواجه القائد وقد تؤدي إلى فتن عظيمة لولا أن أعانه الله ﷻ على معالجتها في وقتها، وكيف عالج جرأة الشاب وحفظه من الفاحشة، وإبراز بعض جوانب من حُسن عشرته ﷺ للزوجة التي ساندته، وللزوجة التي اعتراها ما يعتري البشر من الغيرة الفطرية رضي الله عنهن أجمعين، وكيف تعامل مع حديثي العهد بالكفر لترسيخ التوحيد في قلوبهم، وكيف كان إيثاره رغم حاجته، وهذه النماذج التي تناولت كافة أفراد المجتمع فرادى وجماعات يستنبط منها الأثر التربوي للاقتداء والاهتداء.

خطة البحث: تتكون خطة البحث من مقدمة بُين فيها أهمية الموضوع وسبب اختياره، ومشكلة البحث، وأهدافه، وحدوده، ثم المنهج الذي سار عليه البحث، ثم الدراسات السابقة للبحث، ثم خطته، وقد بُني البحث على **تمهيد** وخمسة مباحث، **المبحث الأول**: تحقيق بعض المبادئ، وفيه ثلاثة مطالب، **المطلب الأول**: تحقيق مبدأ الاعتراف بالفضل، وشخصية القائد المحنك، من خلال بعض الأحداث يوم فتح مكة، وموقف النَّبِيّ ﷺ منها، **المطلب الثاني**: تحقيق مبدأ الشورى في غَزْوَةِ بَدْرٍ، **المطلب الثالث**: تحقيق مبدأ المساواة، **المبحث الثاني**: التأدب بآداب الإسلام وترك ما يخالفها، **المبحث الثالث**: الغيرة الفطرية وحسن العهد ، **المبحث الرابع**: من أكبر المعاصي فاحشة الزنا، **المبحث الخامس**: الإيثار مع الحاجة.

---

(١)سيرد تخريجه في المبحث الرابع: من أكبر المعاصي فاحشة الزنا.

التمهيد

يتكون الإنسان من جسد وعقل وروح، وكل جزء من هذه الأجزاء بحاجة إلى غذاء، فغذاء الجسد الطعام والشراب؛ لأن مبدؤه من الأرض قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٢]، وعند نهايته يعود إلى الأرض التي بدأ منها، والروح مبدؤها من السماء قال تعالى:﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحجر: ٢٩] ، وغذاؤها الشريعة التي هي من عند الله ﷻ، وعند موت العبد تصعد روحه إلى بارئها وهي إما مبشرة برضوان الله وكرامته، وإما مبشرة بسخط الله وعقابه،[1] وغذاء العقل الفكر، وكل جزء لابد أن يكون غذاؤه بقدر موازٍ للثاني؛ حتى لا يطغى جانب على آخر، وقد تناثرت المصادر التي تبحث في غذاء كل جانب من هذه الجوانب بشكل مستقل، والحريص يهمه الوقوف على ما يقوّم كل جانب ويعززه وينميه، والإنسان عموما والمسلم خصوصا لم يخلقه الله ﷻ هملا، فقد خط له الطريق، ورسم له السبيل، وجمع له ما يغذي جسده وروحه وعقله في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وما السيرة النبوية العطرة إلا جزء لا يتجزأ من السنة، ولم تكن نظريات مجردة، بل هو تطبيق عملي من خير البشر على مرأى ومسمع من صحابته الكرام، فتنزل الحوادث، ويتعايش معها ويعالجها، وتتبادر الأسئلة فيجيب، ويُقَوّم الأخطاء بأسلوب مهذب راقٍ، فيه لين وقت الحاجة إلى الرفق، وفيه غضب وقت الحاجة إلى الشدة، وقد تكون هذه الأحداث مع أعدائه، أو مع صحابته، أو مع أسرته، أو مع غلمانه، وقد تكون مع الأفكار الوافدة من الخارج فرفض ما يمحو الهوية الإسلامية، وأثبت ما يعود بالفائدة على المسلمين .

---

(١) عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ» قَالَتْ عَائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ: إِنَّا لَنَكْرَهُ المَوْتَ، قَالَ: «لَيْسَ ذَاكِ، وَلَكِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ المَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ»، أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الرقاق باب مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ (٨/ ١٠٦) (٦٥٠٧).

وحتى يتضح المقال نقف على نماذج من واقع السيرة النبوية العطرة لنحاكي هذه المواقف إن مرت بنا مثيلاتها فنقتدي ونهتدي ونستفيد من هديه ﷺ.

المبحث الأول: تحقيق بعض المبادئ

المطلب الأول: تحقيق مبدأ الاعتراف بالفضل، وشخصية القائد المحنك، من خلال بعض الأحداث يوم فتح مكة، وموقف النَّبِيّ ﷺ منها:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ رَبَاحٍ، قَالَ: وَفَدْنَا إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، وَفِينَا أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، فَكَانَ كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا يَصْنَعُ طَعَامًا يَوْمًا لِأَصْحَابِهِ، فَكَانَتْ نَوْبَتِي، فَقُلْتُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، الْيَوْمُ نَوْبَتِي، فَجَاءُوا إِلَى الْمَنْزِلِ وَلَمْ يُدْرِكْ طَعَامُنَا، فَقُلْتُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، لَوْ حَدَّثْتَنَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى يُدْرِكَ طَعَامُنَا، فَقَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ، فَجَعَلَ خَالِدًا ابْنَ الْوَلِيدِ عَلَى الْمُجَنِّبَةِ[1] الْيُمْنَى، وَجَعَلَ الزُّبَيْرَ عَلَى الْمُجَنِّبَةِ الْيُسْرَى، وَجَعَلَ أَبَا عُبَيْدَةَ عَلَى الْبَيَاذِقَةِ[2]، وَبَطْنِ الْوَادِي، فَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، ادْعُ لِي الْأَنْصَارَ»، فَدَعَوْتُهُمْ، فَجَاءُوا يُهَرْوِلُونَ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، هَلْ تَرَوْنَ أَوْبَاشَ[3] قُرَيْشٍ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «انْظُرُوا، إِذَا لَقِيتُمُوهُمْ غَدًا أَنْ تَحْصُدُوهُمْ حَصْدًا»، وَأَخْفَى بِيَدِهِ وَوَضَعَ يَمِينَهُ عَلَى شِمَالِهِ، وَقَالَ: «مَوْعِدُكُمُ الصَّفَا»، قَالَ: فَمَا أَشْرَفَ يَوْمَئِذٍ لَهُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَنَامُوهُ، قَالَ: وَصَعِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الصَّفَا، وَجَاءَتِ الْأَنْصَارُ فَأَطَافُوا بِالصَّفَا، فَجَاءَ أَبُو سُفْيَانَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ،

---

(١) هي الكتيبة الَّتِي تَأْخُذ جَانب الطَّرِيق وهما مجنبتان ميمنة وميسره بجانبي الطَّرِيق، وَالْقلب بَينهمَا، ينظر القاضي عياض . مشارق الأنوار على صحاح الآثار (١/ ١٥٥).

(٢) الْبَيَاذِقَةِ بباء بِوَاحِدَة مَفْتُوحَة بعْدهَا يَاء بِاثْنَتَيْنِ تحتهَا مُخَفّفَة وذال مُعْجمَة مَكْسُورَة وقاف، وهُمُ الرَّجَّالَةُ، وَاللَّفْظَةُ فَارِسِيَّةٌ مُعْرِبَةٌ، سُمُّوا بِذَلِكَ لِخِفَّةِ حَرَكَتِهِمْ وأَنهم لَيْسَ مَعَهُمْ ما يُثقلهم، وهم أَيْضا أَصْحَاب ركائب الْملك والمتصرفون لَهُ، وقيل: هُمُ الحُسَّرُ، والحاسر فِي الْحَرْب هُوَ الَّذِي لَا درع لَهُ وَلَا مغفر، ينظر الحَمِيدي تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم (ص: ٣٧٦)، القاضي عياض . مشارق الأنوار على صحاح الآثار (١/ ١٠٨)، ابن الأثير . النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ١٧١)، ابن منظور . لسان العرب (١/ ٢٧٦) (١٠/ ١٤).

(٣) هم الأخلاط من النَّاس السفلة، ووبشت قُرَيْش من أوباش لَهَا أَي جمعت لَهَا جموعا من قبائل شَتَّى والأوباش والأوشاب الأخلاط، ينظر الحميدي . تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم (ص: ٣٧٦) القاضي عياض مشارق الأنوار على صحاح الآثار (٢/ ٢٧٨) ..

أُبِيدَتْ خَضْرَاءُ قُرَيْشٍ لَا قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَلْقَى السِّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابهُ فَهُوَ آمِنٌ»، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: أَمَّا الرَّجُلُ فَقَدْ أَخَذَتْهُ رَأْفَةٌ بِعَشِيرَتِهِ، وَرَغْبَةٌ فِي قَرْيَتِهِ، وَنَزَلَ الْوَحْيُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: « قُلْتُمْ: أَمَّا الرَّجُلُ فَقَدْ أَخَذَتْهُ رَأْفَةٌ بِعَشِيرَتِهِ، وَرَغْبَةٌ فِي قَرْيَتِهِ، أَلَا فَمَا اسْمِي إِذًا؟ – ثَلَاثَ مَرَّاتٍ – أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، هَاجَرْتُ إِلَى اللهِ وَإِلَيْكُمْ، فَالْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ، وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ» قَالُوا: وَاللهِ، مَا قُلْنَا إِلَّا ضَنًّا بِاللهِ وَرَسُولِهِ، قَالَ: «فَإِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ يُصَدِّقَانِكُمْ وَيَعْذِرَانِكُمْ» (١)

الأحداث الواردة في الحديث:

أ) ((فَجَعَلَ خَالِدًا بْنَ الْوَلِيدِ ﷺ عَلَى الْمُجَنِّبَةِ الْيُمْنَى، وَجَعَلَ الزُّبَيْرَ ﷺ عَلَى الْمُجَنِّبَةِ الْيُسْرَى، وَجَعَلَ أَبَا عُبَيْدَةَ ﷺ عَلَى الْبَيَاذِقَةِ، وَبَطْنِ الْوَادِي)).

ب) فَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، ادْعُ لِي الْأَنْصَارَ»، فَدَعَوْتُهُمْ، فَجَاءُوا يُهَرْوِلُونَ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، هَلْ تَرَوْنَ أَوْبَاشَ قُرَيْشٍ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «انْظُرُوا، إِذَا لَقِيتُمُوهُمْ غَدًا أَنْ تَحْصُدُوهُمْ حَصْدًا»، وَأَخْفَى بِيَدِهِ وَوَضَعَ يَمِينَهُ عَلَى شِمَالِهِ، وَقَالَ: «مَوْعِدُكُمُ الصَّفَا» ...، قَالَ: «قُلْتُمْ: أَمَّا الرَّجُلُ فَقَدْ أَخَذَتْهُ رَأْفَةٌ بِعَشِيرَتِهِ، وَرَغْبَةٌ فِي قَرْيَتِهِ، أَلَا فَمَا اسْمِي إِذًا؟ – ثَلَاثَ مَرَّاتٍ – أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، هَاجَرْتُ إِلَى اللهِ وَإِلَيْكُمْ، فَالْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ، وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ» قَالُوا: وَاللهِ، مَا قُلْنَا إِلَّا ضَنًّا بِاللهِ وَرَسُولِهِ، قَالَ: «فَإِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ يُصَدِّقَانِكُمْ وَيَعْذِرَانِكُمْ».

ت) «مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَلْقَى السِّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابهُ فَهُوَ آمِنٌ».

الهدي النبوي في معالجة هذه الأحداث:

القائد المحنك: إن الأدوار التي قام بها النَّبِيّ ﷺ في فتح مكة تؤكد على قيادته وحنكته؛ فقد كان له دور بارز في تقسيم الجيش فانتقى المناسب لكل مكان ووجهة، وقسم الأدوار بينهم، فَجَعَلَ خَالِدًا بْنَ الْوَلِيدِ ﷺ عَلَى الكتيبة الْيُمْنَى، وَجَعَلَ الزُّبَيْرَ ﷺ عَلَى الْكتيبة

(١)الحديث أخرجه مسلم في الصحيح كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ بَابُ فَتْحِ مَكَّةَ (٣/ ١٤٠٧) (١٧٨٠).

الْيُسْرَى، وَجَعَلَ أَبَا عُبَيْدَةَ ﷺ على الرَّجَّالَةُ الحُسَّرُ، الَّذِين لَا درع لَهُم وَلَا مغفر فنزلواَ بَطْنِ الْوَادِي. ثم حدد موعدا لِخَالِدِ بن الوليد ﷺ وَمَنْ مَعَهُ الَّذِينَ أَخَذُوا أَسْفَلَ مِنْ بَطْنِ الْوَادِي، فقال: «مَوْعِدُكُمُ الصَّفَا»، وَأَخَذَ هُوَ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ أَعْلَى مَكَّةَ. (١)

موقفه من الأنصار: كان للنَّبِيّ ﷺ مع الأنصار شأن خاص؛ إذ خصهم بالحديث، فَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، ادْعُ لِي الْأَنْصَارَ» وفي رواية «لَا يَأْتِينِي إِلَّا أَنْصَارِيٌّ» (٢) فشحذ همتهم؛ لِثِقَتِهِ بِهِمْ، وَرَفْعًا لِمَرَاتِبِهِمْ، وَإِظْهَارًا لِجَلَالَتِهِمْ، وَخُصُوصِيَّتِهِمْ، (٣) ثم وضع لهم التعليمات التي ينبغي عليهم اتباعها، وركز على تحديد الهدف، وهو: الجموع التي جمعتها قريش من قبائل شتى فَقَالَ: هَلْ تَرَوْنَ أَوْبَاشَ قُرَيْشٍ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «انْظُرُوا، إِذَا لَقِيتُمُوهُمْ غَدًا أَنْ تَحْصُدُوهُمْ حَصْدًا»، ولم يكتفِ بالقول بل استخدم التوضيح والبيان بالتمثيل؛ فَأَخْفَى بِيَدِهِ وَوَضَعَ يَمِينَهُ عَلَى شِمَالِهِ، بمعنى: يحاكى صفة الحصد والقطع باليد اليمنى لما قبضت عليه بالشمال، يريد قتلهم واستئصالهم، (٤) ((فَمَا أَشْرَفَ يَوْمَئِذٍ لَهُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَنَامُوهُ))، أي فمَا ظَهَرَ لَهُمْ أَحَدٌ إِلَّا قَتَلُوهُ، فَوَقَعَ إِلَى الْأَرْضِ، أَوْ يَكُونُ بِمَعْنَى أَسْكَنُوهُ بِالْقَتْلِ كَالنَّائِمِ، (٥)

وفي رواية: ((فَمَا شَاءَ أَحَدٌ مِنَّا أَنْ يَقْتُلَ أَحَدًا إِلَّا قَتَلَهُ، وَمَا أَحَدٌ مِنْهُمْ يُوَجِّهُ إِلَيْنَا شَيْئًا)) (٦)أَيْ لَا يَدْفَعُ أَحَدٌ عَنْ نَفْسِهِ. (٧)

ثم كان له توضيح وبيان لما خاضوا فيه: عندما رَأَوْا رَأْفَةَ النَّبِيّ ﷺ بِأَهْلِ مَكَّةَ وَكَفَّ الْقَتْلِ عَنْهُمْ، قالوا: ((أَمَّا الرَّجُلُ فَقَدْ أَخَذَتْهُ رَأْفَةٌ بِعَشِيرَتِهِ، وَرَغْبَةٌ فِي قَرْيَتِهِ)) قال القرطبي: وهذا القول ليس فيه تنقيص، ولا تصغير، وإنما هم لما رأوا منه ما يقتضيه خلق الكرام،

---

(١) القاضي عياض . إكمال المعلم بفوائد مسلم (٦/ ١٤١)، النووي . المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٢/ ١٣٢).

(٢) مسلم . الصحيح كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ بَابُ فَتْحِ مَكَّةَ (٣/ ١٤٠٥) (١٧٨٠).

(٣) النووي . المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٢/ ١٢٧).

(٤) القاضي عياض . إكمال المعلم بفوائد مسلم (٦/ ١٤١).

(٥) النووي . المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٢/ ١٣٢).

(٦) مسلم . الصحيح كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ بَابُ فَتْحِ مَكَّةَ (٣/ ١٤٠٥) (١٧٨٠).

(٧) النووي . المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٢/ ١٢٧).

وجبلات الفضلاء من الرأفة على العشيرة، والحنين للوطن، خافوا أن يؤثر المقام فيها على المقام بالمدينة، فحملهم شدة محبتهم له، وكراهة مفارقته، أو مفارقة أوطانهم، على أن قالوا هذا الكلام[1] فظَنُّوا أَنَّهُ سيَرْجِعُ إِلَى سُكْنَى مَكَّةَ، وَالْمُقَامِ فِيهَا، وَيَرْحَلُ عَنْهُمْ، وَيَهْجُرُ المدينة، فأوحى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ بما قالوا فَأَعْلَمَهُمْ بِذَلِكَ، ثم قال بعدما أكدوا قولهم: «أَلَا فَمَا اسْمِي إِذًا؟ – ثَلَاثَ مَرَّاتٍ – أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، هَاجَرْتُ إِلَى اللهِ وَإِلَيْكُمْ، فَالْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ، وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ» فَيَحْتَمِلُ معناها وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا فَيَأْتِينِي الْوَحْيُ وَأُخْبَرُ بِالْمُغَيَّبَاتِ، فَثِقُوا بِمَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُخْبِرُكُمْ بِهِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ، والآخر: لا تفتتنوا بِإِخْبَارِي إِيَّاكُمْ بِالْمُغَيَّبَاتِ وَتُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَإِنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، [2] وقيل: لَوْ فَعَلْتُ هَذَا الَّذِي خِفْتُمْ مِنْهُ وَفَارَقْتُكُمْ وَرَجَعْتُ إِلَى اسْتِيطَانِ مَكَّةَ لَكُنْتُ نَاقِضًا لِعَهْدِكُمْ فِي مُلَازَمَتِكُمْ وَلَكَانَ هَذَا غَيْرَ مُطَابِقٍ لِمَا اشْتُقَّ مِنْهُ اسْمِي وَهُوَ الْحَمْدُ فَإِنِّي كُنْتُ أُوصَفُ حِينَئِذٍ بِغَيْرِ الْحَمْدِ، [3]ثم أراد أن ينقض ظنهم فأشار إلى هجرته إليهم فأكدها بتأكيد الهجرة، وكأنه يقول لهم: أني هَاجَرْتُ إِلَى اللهِ وَإِلَى دِيَارِكُمْ لِاسْتِيطَانِهَا فَلَا أَتْرُكُهَا وَلَا أَرْجِعُ عَنْ هِجْرَتِي الْوَاقِعَةِ لِلَّهِ تَعَالَى، فلَا أحي إِلَّا عِنْدَكُمْ وَلَا أَمُوتُ إِلَّا عِنْدَكُمْ، قَالُوا: ((وَاللهِ، مَا قُلْنَا إِلَّا ضَنًّا بِاللهِ وَرَسُولِهِ))، وفي رواية ((فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَبْكُونَ وَيَقُولُونَ: وَاللهِ، مَا قُلْنَا الَّذِي قُلْنَا إِلَّا الضِّنَّ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ،))[4] فهنا بيَّنوا عذرهم، أَيْ مَا قُلْنَا كَلَامَنَا السَّابِقَ إِلَّا حِرْصًا عَلَيْكَ وَعَلَى مُصَاحَبَتِكَ وَدَوَامِكَ عِنْدَنَا لِنَسْتَفِيدَ مِنْكَ وَنَتَبَرَّكَ بِكَ وَتَهْدِينَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الشورى: ٥٢] والضِّنَّ بِكَ هُوَ بِكَسْرِ الضَّادِ أَيْ شُحًّا بِكَ أَنْ تُفَارِقَنَا وَيَخْتَصَّ بِكَ غَيْرُنَا، وَكَانَ بُكَاؤُهُمْ فَرَحًا بِمَا قَالَ لَهُمْ وَحَيَاءً مِمَّا خَافُوا أَنْ يَكُونَ بَلَغَهُ عَنْهُمْ مِمَّا يستحي

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣/ ٦٣١).

(٢) النووي . المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٢/ ١٢٨ . ١٢٩) بتصرف.

(٣) القاضي عياض . إكمال المعلم بفوائد مسلم (١٤٥/٦) بتصرف.

(٤) مسلم . الصحيح كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ بَابُ فَتْحِ مَكَّةَ (٣/ ١٤٠٦) (١٧٨٠).

مِنْهُ، قَالَ: «فَإِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ يُصَدِّقَانِكُمْ وَيَعْذِرَانِكُمْ»،[1] أي: في هذا المقصد، ويعذرانكم فيما كان من هذا النطق[2].

موقفه من قريش: كان للنَّبِيّ ﷺ موقف من قريش عندما تمكن منهم، ((قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أُبِيدَتْ خَضْرَاءُ قُرَيْشٍ لَا قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ))، وفي رواية ((أُبِيحَتْ خَضْرَاءُ قُرَيْشٍ، لَا قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ)) [3] وَهُمَا مُتَقَارِبَانِ أَيِ اسْتُؤْصِلَتْ قُرَيْشٌ بِالْقَتْلِ وَأُفْنِيَتْ، وَخَضْرَاؤُهُمْ بِمَعْنَى جَمَاعَتِهِمْ وَيُعَبَّرُ عَنِ الْجَمَاعَةِ الْمُجْتَمِعَةِ بِالسَّوَادِ وَالْخُضْرَةِ وَمِنْهُ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ، [4] فكان له ﷺ موقف مع أبي سفيان بشكل خاص، ومع قريش بشكل عام فَقَالَ: «مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَلْقَى السِّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ» وهذا فِيهِ تَأْلِيفٌ لِأَبِي سُفْيَانَ وَإِظْهَارٌ لِشَرَفِهِ [5] فهو سيد من سادات قريش، وكان أكبر أعدائه، ومن المحرضين على قتله قبل هجرته، وعلى قتاله بعد هجرته، وصاحب العير يوم بدر،[6] وصاحب الجيش بأحد وفي الخندق، وإليه كانت تنظر قريش يوم الفتح،[7] ومع ذلك كرّمه رسول الله ﷺ، وقد كان لهذا التكريم تحفيز من العباس رضي الله عنه عم رسول الله ﷺ كما ورد في رواية لعبدالله ابن عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ، جَاءَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بِأَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ فَأَسْلَمَ بِمَرِّ الظَّهْرَانِ [8]، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ هَذَا الْفَخْرِ، فَلَوْ جَعَلْتَ لَهُ شَيْئًا، قَالَ: «نَعَمْ، مَنْ دَخَلَ

---

(١) النووي . المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٢/ ١٢٩) بتصرف.

(٢) يحيى بن هُبَيْرَة . لإفصاح عن معاني الصحاح (٨/ ٢٠٨).

(٣) مسلم . الصحيح كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ بَابُ فَتْحِ مَكَّةَ (٣/ ١٤٠٥) (١٧٨٠).

(٤) النووي . المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٢/ ١٢٧).

(٥) النووي . المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٢/ ١٢٧).

(٦) وهي العير المقبلة من الشام لقريش بصحبة أبي سفيان، وعليها أموال عظيمة لهم، لكنها أفلتت ولم يتمكن منها المسلمون وكانت بعدها غزوة بدر، ينظر محمود شيت . غزوة بدر الكبرى (ص: ٣٤).كان هدف المسلمين يوم بدر الاستيلاء على القافلة التجارية لقريش والتي كانت بقيادة أبي سفيان بن حرب.

(٧) مغلطاي . إكمال تهذيب الكمال (٦/ ٣٥٧).

(٨) مَرِّ الظَّهْرَانِ بِفَتْحِ الْمِيمِ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ وَبِفَتْحِ الظَّاءِ الْمُعْجَمَةِ وَسُكُونِ الْهَاءِ، الظهران: واد قرب مكة وعنده قرية يقال لها مرّ تضاف إلى هذا الوادي فيقال مرّ الظهران، وقيل: هُوَ الْوَادِي الَّذِي تُسَمِّيهِ الْعَامَّةُ بَطْنَ مَرْوَ بِإِسْكَانِ الرَّاءِ بَعْدَهَا وَاوٌ قَالَ الْبَكْرِيُّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَكَّةَ سِتَّةَ عَشَرَ مِيلًا، ويعرف حاليا بوادي فاطمة، ينظر الحموي . معجم البلدان (٤/ ٦٣)، ابن حجر . فتح الباري (١/ ٥٧٠) البلادي . معالم مكة التأريخية والأثرية (ص: ٢٥) .

دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ». [1] «وَمَنْ أَلْقَى السِّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابهُ فَهُوَ آمِنٌ» فَكَانَ هَذَا أَمَانًا مِنْهُ لِكُلِّ مَنْ لَمْ يُقَاتِلْ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، [2] فمَنْ دَخَلَ دَارَهُ أَوِ الْمَسْجِدَ أَوْ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ أَوْ أَلْقَى السِّلَاحَ فهو أَمَّنَ. [3]

ظهور بعض علامات نبوته : ظهرت معجزتان مِنْ مُعْجِزَاتِ نبوته ﷺ في هذا الحديث،

أولهما: أن اللَّهُ تَعَالَى أوحى إِلَيْهِ بما قال الأنصار فَأَعْلَمَهُمْ بِذَلِكَ.

والثانية: أراد ﷺ أن ينقض ظنهم فأشار إلى هجرته إليهم فأكدها بتأكيد الهجرة، وكأنه يقول لهم: أني هَاجَرْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى دِيَارِكُمْ لِاسْتِيطَانِهَا فَلَا أَتْرُكُهَا وَلَا أَرْجِعُ عَنْ هِجْرَتِي الْوَاقِعَةِ لِلَّهِ تَعَالَى، فلَا أحي إِلَّا عِنْدَكُمْ وَلَا أَمُوتُ إِلَّا عِنْدَكُمْ وهذه معجزة أخرى له ﷺ، فيها إخبار بما سيكون. [4]

الأثر التربوي:

١) حقق رَسُولُ اللهِ ﷺ مبدأ الاعتراف بالفضل لأهله في موقفه من الأنصار وهذا من قبيل قوله تعالى:﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، والمؤمن الحق لا ينسى المعروف لمن أسدى إليه معروفا، وأول صور رد المعروف هو الاعتراف بالفضل ثم مقابلة الجميل بالأجمل، قال رسولُ الله ﷺ: «مَنِ استعاذَ بالله فأعيذُوه، ومَنْ سألَ بالله فأعطُوه،

---

(١) الحديث أخرجه أبوداود في السنن كِتَاب الْخَرَاجِ وَالْإِمَارَةِ وَالْفَيْءِ بَابُ مَا جَاءَ فِي خَبَرِ مَكَّةَ (٣/ ١٦٢) بسند حسن فيه: محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي إمام المغازي قال ابن حجر: ((صدوق يدلس ورمي بالتشيع والقدر))، تقريب التهذيب (ص: ٤٦٧) لكنه صرح بالتحديث في الرواية التي أخرجها أبو نعيم في معرفة الصحابة (٣/ ١٥٠٩) (٣٨٣٦).

(٢)ابن حجر . فتح الباري (٨/ ١٣).

(٣)ابن عبد البر . الاستذكار (٥/ ١٥٣).

(٤) يحيى بن هُبَيْرَة . الإفصاح عن معاني الصحاح (٨/ ٢٠٨).

ومَن دعاكم فأجيبُوه، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ» [١].

٢) قبول عذر الأنصار، وتأكيد حبه لهم، والتجاوز عنهم فيما خاضوا فيه، وهكذا ينبغي أن يتجاوز المؤمن، ويعفو فكل ابن آدم خطَّاء، وما اعتذر إليك إلا من راعى ودك، يقول ابن القيم: ((وَأَمَّا قَبُولُكَ مِنَ الْمُعْتَذِرِ مَعَاذِيرَهُ، فَمَعْنَاهُ: أَنَّ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ. ثُمَّ جَاءَ يَعْتَذِرُ مِنْ إِسَاءَتِهِ، فَإِنَّ التَّوَاضُعَ يُوجِبُ عَلَيْكَ قَبُولَ مَعْذِرَتِهِ، حَقًّا كَانَتْ أَوْ بَاطِلًا، وَتَكِلُ سَرِيرَتُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنْهُ فِي الْغَزْوِ، فَلَمَّا قَدِمَ جَاءُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ، فَقَبِلَ أَعْذَارَهُمْ، وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى))، [٢] أما من علم صدق إيمانهم ونقاء سريرتهم، أدخل السرور على قلوبهم بقوله: «فَإِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ يُصَدِّقَانِكُمْ وَيَعْذِرَانِكُمْ» .

٣) كان رَسُولُ اللَّهِ ﷺ القائد المحنك مع المسلمين في تقسيم الجيش، وانتفاء القائد المعروف بالنجدة والبأس، وكان كذلك مع المشركين، فكف أيدي من ناصبوه العداوة لسنوات، أهله وعشيرته، بالعفو وقت التمكين، بل ورسم لهم خطة الأمان بالدخول إلى البيوت، أو إلقاء السلاح، وبهذا يضمن دفع مكرهم، وكبت غيظهم، وتأليف قلوبهم للدخول في الإسلام.

٤) لقد اختار رَسُولُ اللهِ ﷺ الأنصار؛ واختياره عن علم ومعرفة بهم، ((وَصَعِدَ الصَّفَا، وَجَاءَتِ الْأَنْصَارُ فَأَطَافُوا بِالصَّفَا)) وهذا يدل على أن رَسُولَ اللهِ ﷺ اختارهم في وقت الشدة للإحاطة بنواحيه؛ أمنا لهم عليه من حيث ثقتهم في الدين، ومن حيث شجاعتهم وصدقهم النزال، وكفى هذا شرفا لهم، [٣] والقائد الناجح يحسن اختيار بطانته ليجدهم حوله وقت حاجته لهم.

---

(١) أخرجه أبو داود بسند صحيح في السنن كِتَاب الزَّكَاةِ بَابُ عَطِيَّةِ مَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ (٢/ ١٢٨) (١٦٧٢)، فيه سليمان بن مهران قال ابن حجر: ثقة حافظ عارف بالقراءات ورع لكنه يدلس، تقريب التهذيب (ص: ٢٥٤)، لكنه من الطبقة الثانية ممن احتمل الائمة تدليسه، ينظر تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس (ص: ٣٣).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٣٢١).

(٣) يحيى بن هُبَيْرَة . الإفصاح عن معاني الصحاح (٨/ ٢٠٦).

المطلب الثاني: تحقيق مبدأ الشورى في غَزْوَةِ بَدْرٍ[1]

عَنْ أَنَسٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ شَاوَرَ حِينَ بَلَغَهُ إِقْبَالُ أَبِي سُفْيَانَ، قَالَ: فَتَكَلَّمَ أَبُوبَكْرٍ ﷺ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ تَكَلَّمَ عُمَرُ ﷺ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ﷺ، فَقَالَ: إِيَّانَا تُرِيدُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نُخِيضَهَا الْبَحْرَ لَأَخَضْنَاهَا، وَلَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَضْرِبَ أَكْبَادَهَا إِلَى بَرْكِ الْغِمَادِ[2] لَفَعَلْنَا، قَالَ: فَنَدَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ، فَانْطَلَقُوا حَتَّى نَزَلُوا بَدْرًا، وَوَرَدَتْ عَلَيْهِمْ رَوَايَا قُرَيْشٍ، وَفِيهِمْ غُلَامٌ أَسْوَدُ لِبَنِي الْحَجَّاجِ، فَأَخَذُوهُ، فَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَسْأَلُونَهُ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، وَأَصْحَابِهِ، فَيَقُولُ: مَا لِي عِلْمٌ بِأَبِي سُفْيَانَ، وَلَكِنْ هَذَا أَبُوجَهْلٍ، وَعُتْبَةُ، وَشَيْبَةُ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ ضَرَبُوهُ، فَقَالَ: نَعَمْ، أَنَا أُخْبِرُكُمْ، هَذَا أَبُو سُفْيَانَ، فَإِذَا تَرَكُوهُ فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ مَا لِي بِأَبِي سُفْيَانَ عِلْمٌ، وَلَكِنْ هَذَا أَبُو جَهْلٍ، وَعُتْبَةُ، وَشَيْبَةُ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، فِي النَّاسِ، فَإِذَا قَالَ هَذَا أَيْضًا ضَرَبُوهُ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ انْصَرَفَ، قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَضْرِبُوهُ إِذَا صَدَقَكُمْ، وَتَتْرُكُوهُ إِذَا كَذَبَكُمْ» قَالَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ»، قَالَ:

---

(١) ماءٌ مشهورٌ، بين مَكَّة وَالْمَدِينَة، أسفل الصفراء يُقَالُ: يُنْسَبُ إلى بدر بن يخلد بن النضر بن كِنَانَة، وقيل: بل هو رجلٌ من بني ضمرة، سكن هذا المَوْضِعٌ فنُسب إليه، ثُمَّ غلب اسمه عليه، وبه كانت الوقعة المشهورة التي أظهر الله بها الإسلام، وفرق بين الحق والباطل، وَالتي كَانَتْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِسَبْعَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، النووي . المنهاج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج (١٢/ ٨٤). الحازمي . الأماكن، ما اتفق لفظه وافترق مسماه (ص: ١١١. ١١٢).

(٢) أَكثر الرِّوَايَة فِيهِ فِي الصَّحِيحَيْنِ بِفَتْح الْبَاء وَقِيل: بِكَسْر الْبَاء وَسُكُون الرَّاء، والغماد بغين مُعْجمَة يُقَال بِكَسْرِهَا وَضمّهَا وَمِيم مُخَفَّفَة وَآخره دَال مُهْملَة، مَوضِع فِي أَقاصي هجر، وقيل: هو مَوضِع باليَمَن، قيل هو أَقصى حَجْر، وَقِيلَ هُوَ مَوْضِعٌ وَرَاءَ مَكَّةَ بِخمْس لَيَالٍ بناحية السَّاحِل مما يلي البحر، والمقصود أنه كِنَايَةٌ يُقَالُ فِيمَا تَبَاعَدَ من الأمكنة، قلت: فمهما كان المكان الذي يريده رسول الله صلى الله عليه وسلم سيكونون معه، انظر القاضي عياض . مشارق الأنوار على صحاح الآثار (١/ ١١٥)، الحازمي . الأماكن، ما اتفق لفظه وافترق مسماه (ص: ٧٢٥)، أبو موسى المديني . المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث (١/ ١٥١)، النووي . المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٢/١٢٥)، ابن الأثير . النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ١٢١).

وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْأَرْضِ «هَاهُنَا، هَاهُنَا»، قَالَ: فَمَا مَاطَ أَحَدُهُمْ عَنْ مَوْضِعِ يَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ. (١)

الأحداث الواردة في الحديث:

أ) ((أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ شَاوَرَ حِينَ بَلَغَهُ إِقْبَالُ أَبِي سُفْيَانَ))

ب) «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَضْرِبُوهُ إِذَا صَدَقَكُمْ، وَتَتْرُكُوهُ إِذَا كَذَبَكُمْ»

ت) «هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ»، قَالَ: وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْأَرْضِ «هَاهُنَا، هَاهُنَا»، قَالَ: فَمَا مَاطَ أَحَدُهُمْ عَنْ مَوْضِعِ يَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

الهدي النبوي في معالجة هذه الأحداث:

شاور رَسُولُ اللهِ ﷺ أصحابه في غزوة بدر استشارات متعددة، **الأولى كانت عامة:** كما ورد في قول أَنَسٍ رضي الله عنه: ((أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ شَاوَرَ حِينَ بَلَغَهُ إِقْبَالُ أَبِي سُفْيَانَ)) عندما كان بالمدينة وبلغه خبر العير القادمة من الشام إلى مكة، وذلك أن عِيرَ قريش أقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكبا منهم أبو سُفْيَان، فأعجب المسلمون تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم، (٢) **والثانية كانت استشارة خاصة بالأنصار:** لَمَّا وَصَلَ النَّبِيُّ ﷺ الصَّفْرَاءَ(٣) وَبَلَغَهُ أَنَّ قُرَيْشًا قَصَدَتْ بَدْرًا وَأَنَّ أَبَا سُفْيَانَ نَجَا بِمَنْ مَعَهُ فَاسْتَشَارَ النَّاسَ،(٤) وأعرض عمن تكلم من المهاجرين؛ لأنه ما كان المقصود إلا أن يعرف ما عند الْأَنْصَارِ واخْتِبَارَهم؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَايَعَهُمْ ليلة العقبة عَلَى أَنْ يَخْرُجُوا مَعَهُ لِلْقِتَالِ وَطَلَبِ الْعَدُوِّ

---

(١) أخرجه مسلم ـ الصحيح كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ غَزْوَةِ بَدْرٍ (٣/ ١٤٠٣) (١٧٧٩).

(٢) الطيبي ـ شرح المشكاة (الكاشف عن حقائق السنن) (١٢/ ٣٧٥٨).

(٣) وَادِي الصَّفْرَاءِ مِنْ أَوْدِيَةِ الْحِجَازِ الْفُحُولِ، كَثِيرُ الْقُرَى كَثِيرُ الْخُيُوفِ، وَإِنْ كَانَ أَكْثَرُهَا انْدَثَرَ الْيَوْمَ، إِذَا خَرَجْت مِنْ الْمَدِينَةِ فَتَجَاوَزْت الْفِرَيْشَ فَأَنْتَ فِي أَوَّلِ نَوَاشِغَ وَادِي الصَّفْرَاءِ، ثُمَّ تَسِيرُ فِيهِ مَارًّا بِالْمُسَيْجِيدِ وَالْخَيْفِ وَالْوَاسِطَةِ حَتَّى تَتَجَاوَزَ بَدْرًا، أَيْ إنَّهُ يَلْقَاك عَلَى (٥١) كَيْلًا مِنْ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ يُفَارِقُك عَلَى (١٦٣) كَيْلًا مِنْهَا، البلادي ـ معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ١٧٧).

(٤)قال ابن حجر: أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ قَالَهُ الْمِقْدَادُ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ فَأَحْسَنَ ثُمَّ قَامَ عُمَرُ كَذَلِكَ ثُمَّ الْمِقْدَادُ فَذَكَرَ نَحْوَ مَا فِي الحَدِيثِ وَزَادَ فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ سَلَكْتَ بِنَا بَرْكَ الْغِمَادِ لَجَاهَدْنَا مَعَكَ مِنْ دُونِهِ قَالَ: فَقَالَ أَشِيرُوا عَلَيَّ؟ قَالَ فَعَرَفُوا أَنَّهُ يُرِيدُ الْأَنْصَارَ، وَكَانَ يَتَخَوَّفُ أَنْ لَا يُوَافِقُوهُ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُبَايِعُوهُ إِلَّا عَلَى نُصْرَتِهِ مِمَّنْ يَقْصِدُهُ لَا أَنْ يَسِيرَ بِهِمْ إِلَى الْعَدُوِّ فَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ امْضِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَا أُمِرْتَ بِهِ فَنَحْنُ مَعَكَ قَالَ فَسَرَّهُ قَوْلُهُ وَنَشَّطَهُ، ينظر فتح الباري شرح صحيح البخاري (٧/ ٢٨٧).

وَإِنَّمَا بَايَعَهُمْ عَلَى أَنْ يَمْنَعُوهُ مِمَّنْ يَقْصِدُهُ فَلَمَّا عَرَضَ الْخُرُوجَ لِعِيرِ أَبِي سُفْيَانَ أَرَادَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُمْ يُوَافِقُونَ عَلَى ذَلِكَ فَأَجَابُوهُ أَحْسَنَ جَوَابٍ بِالْمُوَافَقَةِ التَّامَّةِ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ وَغَيْرِهَا. (١)

والاستشارة الثالثة كانت خاصة: استشار رَسُولُ اللهِ ﷺ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما في أسارى بدر وذلك كما قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما: فَلَمَّا أَسَرُوا الْأُسَارَى، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ: «مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأُسَارَى؟» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللهِ، هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ، أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ، فَعَسَى اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟» قُلْتُ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلَانٍ نَسِيبًا لِعُمَرَ، فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا(٢)، فَهَوِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ؟ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمِ الْفِدَاءَ، لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ»- شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللهِ ﷺ - وَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ:﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ(٣) فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [الأنفال: ٦٧]إِلَى

---

(١) القاضي عياض . إكمال المعلم بفوائد مسلم (٦/ ١٣٦)، القرطبي . المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣/ ٦٢٦)، النووي . المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٢/ ١٢٤)، الطيبي . شرح المشكاة (الكاشف عن حقائق السنن) (١٢/ ٣٧٥٨).

(٢) صَنَادِيد أَي عظمائهم والصنديد الرجل الْعَظِيم الشريف وَالْملك الضخم، وَالضَّمِيرُ فِي صَنَادِيدِهَا يَعُودُ عَلَى أَئِمَّةِ الْكُفْرِ أَوْ مَكَّةَ، القاضي عياض . مشارق الأنوار على صحاح الآثار (٢/ ٤٦)، النووي . المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٢/ ٨٤).

(٣) الإِثْخَانُ فِي الشَّيْءِ المبالغةُ فِيهِ والإِكثارُ مِنْهُ، يُقَالُ: قَدْ أَثْخَنَه المرضُ إِذَا اشتدَّ قُوَّتُه عَلَيْهِ ووَهَنَه، وَالْمُرَادُ بِهِ هَاهُنَا المبالغةُ فِي قَتْلِ الْكُفَّارِ، ابن منظور . لسان العرب (١٣/ ٧٧).

قَوْلِهِ ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٩] فَأَحَلَّ اللهُ الْغَنِيمَةَ لَهُمْ.(١)

ظهور بعض علامات نبوته : الحديث فِيهِ مُعْجِزَتَانِ مِنْ مُعْجِزَاتِ النُّبُوَّةِ، إِحْدَاهُمَا: إِخْبَارُهُ ﷺ بِمَصْرَعِ جَبَابِرَتِهِمْ فَلَمْ يَنْفُذْ أَحَدٌ مَصْرَعَهُ.

الثَّانِيَةُ: إِخْبَارُهُ ﷺ بِأَنَّ الْغُلَامَ الَّذِي كَانُوا يَضْرِبُونَهُ يَصْدُقُ إِذَا تَرَكُوهُ وَيَكْذِبُ إِذَا ضَرَبُوهُ وَكَانَ كَذَلِكَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ والله أعلم. (٢)

الأثر التربوي :

١) التخطيط السليم والترتيب المتقن للأمر يستلزم اسْتِشَارَةُ الْأَصْحَابِ، ومعرفة الرأي من أهله قبل الفعل، وهذا يثمر نجاح المهمة.

٢) التوجيه والإرشاد لمن يحتاجه، وكلٌّ على حسب حاله، فقد سمع رَسُولُ اللهِ ﷺ صحابته، وفهم ما فعلوه مع الغلام وهو يصلي، فوجههم إلى صدق الغلام.

٣) اسْتِحْبَابُ تَخْفِيف الصلاة إِذَا عَرَضَ أَمْرٌ فِي أَثْنَائِهَا، (٣) فقد قال أَنَسٍ ﷺ: ((فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ انْصَرَفَ))، أي لما رأى رَسُولُ اللهِ ﷺ ما كان من شأن الصحابة رضوان الله عليهم مع الغلام، خفف من الصلاة وبين لهم صدقه.

٤) بث كل ما يقوي من عزائم الآخرين ويشد من أزرهم؛ بتقوية الثقة بالله، مع الأخذ بالأسباب، فرَسُولُ اللهِ ﷺ بث ما يقوي عزائم الصحابة رضوان الله عليهم، بما وقر في نفسه من ثقته بالله بالتمكين والنصر، فحدد أماكن مقتل رؤساء الكفار ليستقن الصحابة أن النصر لهم، وأن الدائرة ستدور على أعدائهم.

٥) من أساليب الوصول لحقيقة الأمر ضرب المتهم وتخويفه، ليُستخبر ما عنده من علم، فقد ضرب الصحابة رضوان الله عليهم الغلام الأسير وهو كافر ولا عهد له؛ ليستخبروا ما عنده

---

(١) الحديث أخرجه مسلم . الصحيح كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ بَابُ الْإِمْدَادِ بِالْمَلَائِكَةِ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَإِبَاحَةِ الْغَنَائِمِ (٣/ ١٣٨٣) (١٧٦٣).

(٢) القاضي عياض . إكمال المعلم بفوائد مسلم (٦/ ١٣٧)، النووي . المنهاج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج (١٢/١٢٦).

(٣) النووي . المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٢/١٢٦).

من سر العدو، ويحتج به في تهديد الحكام للمتهمين ليصدقوا عن أحوالهم، وينكشف لهم تهمتهم. (١)

٦) الشدة في ذات الله ﷻ تعكس قوة وإن كان في العدد والعُدة قلة، فرأى عمر ﷺ قتل أئمة الكفر وصناديدهم، وهذا في أول الأمر أحزم، وبقوة الإيمان أعلن، فإن وضع السيف ورفع الصوت من القليل في الجم الكثير مشعر أن القليل واثق وغير جانح إلى السلم، ولا مبال بما يكون من قتله الأعداء. (٢)

٧) الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية، وهو وارد بين البشر، فقد رأى أبو بكر ﷺ رأيًا، ورأى عمر ﷺ رأيًا مختلفًا، وكان كل من القولين خارجًا مخرجه، فرأى أبو بكر أن قوة الإسلام بأخذ ما يؤخذ من أموالهم، وأنه لا يفوت قتل من لا يؤمن منهم بعد أخذ ماله، وهذا لا يعني رفقًا بالكفار ولا إشفاقًا عليهم، بينما رأى عمر قتل أئمة الكفر وصناديدهم، فنزل القرآن بالإشارة في إهلاك المشركين مع إمضاء ما جرى؛ ليعمل بالقولين في إمضاء رأي أبي بكر، وتصويب رأي عمر. (٣)

٨) أن البكاء في البشر فطرة، وتنفيس عن النفس، وقد يُهَيِج البكاء، بكاء غيره، فبكى رَسُولُ اللهِ ﷺ، وبكائه هيج بكاء أبي بكر، والتباكي جائز أيضًا من مثل عمر ﷺ ومن كل مخلص، فإنه إنما يبكي بالإخلاص لله وإن تباكى، وسبب البكاء كما قال ﷺ -: «لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ» كناية عن قربه منهم، لولا أن الله تعالى أمضى ما رأوه من أخذ الفداء، ولولاه لوقع العذاب بهم. (٤)

---

(١) ينظر القاضي عياض . إكمال المعلم بفوائد مسلم (٦/ ١٣٧)، النووي . المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٢/١٢٦).

(٢) ابن هُبَيْرَة . الإفصاح عن معاني الصحاح (١/ ٢٠٩).

(٣) ابن هُبَيْرَة . الإفصاح عن معاني الصحاح (١/ ٢٠٩).

(٤) ابن هُبَيْرَة . الإفصاح عن معاني الصحاح (١/ ٢٠٩) بتصرف.

المطلب الثالث: تحقيق مبدأ المساواة

يوم بدر: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، قَالَ: كُنَّا يَوْمَ بَدْرٍ كُلُّ ثَلَاثَةٍ عَلَى بَعِيرٍ، كَانَ أَبُو لُبَابَةَ، (١) وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، زَمِيلَيْ (٢) رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: وَكَانَتْ عُقْبَةُ (٣) رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَقَالَا نَحْنُ نَمْشِي عَنْكَ، فَقَالَ: «مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي، وَلَا أَنَا بِأَغْنَى عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمَا». (٤)

يوم الخندق (٥): عَنْ البَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ ﷺ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الأَحْزَابِ (٦)، وَخَنْدَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، رَأَيْتُهُ يَنْقُلُ مِنْ تُرَابِ الخَنْدَقِ، حَتَّى وَارَى عَنِّي الغُبَارُ جِلْدَةَ بَطْنِهِ، وَكَانَ كَثِيرَ الشَّعَرِ، فَسَمِعْتُهُ يَرْتَجِزُ بِكَلِمَاتِ ابْنِ رَوَاحَةَ، وَهُوَ يَنْقُلُ مِنَ التُّرَابِ يَقُولُ:

اللَّهُمَّ لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا،

---

(١) رِفَاعَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُنْذِرِ الْأَنْصَارِيُّ الْأَوْسِيُّ، غَلَبَتْ عَلَيْهِ كُنْيَتُهُ، وَكَانَ مِنَ النُّقَبَاءِ، وَشَهِدَ الْعَقَبَةَ وَبَدْرًا، وَالْمَشَاهِدَ بَعْدَهَا، وَقِيلَ: لَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا بَلْ أَمَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمَدِينَةِ، وَضَرَبَ لَهُ بِسَهْمٍ مَعَ أَصْحَابِ بَدْرٍ، مَاتَ فِي خِلَافَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، ينظر ابن حجر ـ الإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ٢٩٠).

(٢)الزَّمِيل: هو العَديلُ الذي حِملُه مع حِمْلِك على البعير، وقد زامَلَني: عادَلَني، ومنه الزَّاملة، والزَّميل أيضاً: الرَّديف على البعير، يقال: زَاملتُه على البَعير: حَملْتُهُ، وهو أيضا الرَّفيق في السَّفر، الذي يؤاكلك، ويُعِيْنك على الحِلّ والتَّرحالِ والاستقاء، وَالْأَظْهَرُ أَنَّ الزَّمِيلَ هُوَ الَّذِي يُرْكَبُ مَعَكَ عَلَى دَابَّةٍ وَاحِدَةٍ بِالنَّوْبَةِ بِقَرِينَةِ مَا بَعْدَهُ، ينظر أبو موسى المديني ـ المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث (٢/ ٢٧)، ابن الأثير ـ النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣١٣)، الهروي ـ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٦/ ٢٥١٩).

(٣) عَقَبَةً" أي: نَوْبَةً، وَيَتَعاقَبانِ: يَتَناوَبانِ، فَيَرْكَبُ هَذا نَوْبَةً وَهَذا نَوْبَةً، ابن بطال ـ النظم المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المهذب (٢/ ٤٢).

(٤)الحديث أخرجه أحمد في مسند عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ بسند حسن فيه عاصم بن بهدلة وهو ابن أبي النجود المقرئ، قال ابن حجر: صدوق له أوهام حجة في القراءة وحديثه في الصحيحين مقرون، المسند (٧/ ١٧) (٣٩٠١) تقريب التهذيب (ص: ٢٨٥).

(٥)أي يوم من أيام حفر الخَنْدَق، وهو أعجمي تكلمت به العرب، وتسمى بغزوة الأحزاب، ينظر الفاكهاني ـ الأفهام في شرح عمدة الأحكام (١/ ٥٥٥)، الكرماني ـ الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٤/ ٢٣٠).

(٦) {يوم الأحزاب} لتحزيب الكفار واجتماع قبائل العرب على قتال رَسُول اللهِ ﷺ، وهو يوم الخندق لأن في ذلك الوقت حُفر الخندق، ينظر الفاكهاني ـ رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام (١/ ٥٥٥)، الكرماني ـ الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٢٥/ ٨).

فَـــــأَنْزِلَنْ سَـــــكِينَةً عَلَيْنَـــــا وَثَبِّـــــتِ الأَقْـــــدَامَ إِنْ لاَقَيْنَـــــا

إِنَّ الأُلَـــــى قَـــــدْ بَغَـــــوْا عَلَيْنَـــــا وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَـــــــــةً أَبَيْنَـــــــا

" قَالَ: ثُمَّ يَمُدُّ صَوْتَهُ بِآخِرِهَا. (١)

الأحداث الواردة في الحديثين:

أ) فَقَالَ: «مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي، وَلَا أَنَا بِأَغْنَى عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمَا».

ب) قول البَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ ﷺ ((رَأَيْتُهُ يَنْقُلُ مِنْ تُرَابِ الخَنْدَقِ)).

ت) ((فَسَمِعْتُهُ يَرْتَجِزُ بِكَلِمَاتِ ابْنِ رَوَاحَةَ، وَهُوَ يَنْقُلُ مِنَ التُّرَابِ))

الهدي النبوي في معالجة هذه الأحداث:

فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ كان المحاربون أكثر من عدد الإبل؛ لذلك كان كُلُّ ثَلَاثَةٍ عَلَى بَعِيرٍ، أي يتناوبون الثلاثة على ركوب البعير الواحد، فكان أَبُو لُبَابَةَ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ زَمِيلَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أي رفيقيه اللذين يتناوبان معه على الْبَعِيرِ فلما جَاءَت عُقْبَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَيْ: نَوْبَةُ نُزُولِهِ من البعير، قَالَا : نَحْنُ نَمْشِي عَنْكَ، أَيْ: نَمْشِي مَشْيًا عِوَضًا عَنْ مَشْيِكَ، قَالَ: «مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي، وَلَا أَنَا بِأَغْنَى عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمَا» أَيْ: لَسْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي فِي الدُّنْيَا، وَلَسْتُ بِأَغْنَى عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمَا فِي الْعُقْبَى. (٢)

غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ، غَزَاها النَّبِيّ ﷺ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ خَمْسٍ من الهجرة، (٣) سَبَبُها أَنَّ الْيَهُودَ لَمَّا رَأَوْا انْتِصَارَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَعَلِمُوا بِمِيعَادِ أبي سفيان لِغَزْوِ الْمُسْلِمِينَ، فَخَرَجَ لِذَلِكَ، ثُمَّ رَجَعَ لِلْعَامِ الْمُقْبِلِ، خَرَجَ أَشْرَافُهُمْ كسلام بن أبي الحقيق، وسلام بن مشكم، وكنانة بن الربيع، وَغَيْرِهِمْ إِلَى قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ؛ يُحَرِّضُونَهُمْ عَلَى غَزْوِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيُؤَلِّبُونَهُمْ عَلَيْهِ، وَوَعَدُوهُمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ بِالنَّصْرِ لَهُمْ، فَأَجَابَتْهُمْ قُرَيْشٌ، ثُمَّ خَرَجُوا إِلَى

---

(١) الحديث أخرجه البخاري . الصحيح كِتَابُ المَغَازِي بَابُ غَزْوَةِ الخَنْدَقِ وَهِيَ الأَحْزَابُ (٥/ ١١٠) (٤١٠٦).

(٢) علي الهروي . مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٦/ ٢٥١٩) بتصرف.

(٣) قيل سنة خمس من الهجرة، وهذا ما ذكره الواقدي وغيره، وأيده ابن حجر بقوله: ((وَهُوَ الْمُعْتَمَدُ))، وقيل سنة أربع، ينظر، المغازي (٤/١)، الكرماني . الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٤/ ٢٣٠)، فتح الباري شرح صحيح البخاري (٧/ ٣٩٣)، الكوراني . الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري (٢/ ٢٥٨).

غَطَفَانَ، فَدَعَوْهُمْ، فَاسْتَجَابُوا لَهُمْ، ثُمَّ طَافُوا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ يَدْعُونَهُمْ إِلَى ذَلِكَ، فَاسْتَجَابَ لَهُمْ مَنِ اسْتَجَابَ، فَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ وَقَائِدُهُمْ أبو سفيان فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ، وَوَافَتْهُمْ بَنُو سُلَيْمٍ بِمَرِّ الظَّهْرَانِ، وَخَرَجَتْ بَنُو أَسَدٍ وَفَزَارَةُ وَأَشْجَعُ وَبَنُو مُرَّةَ، وَجَاءَتْ غَطَفَانُ وَقَائِدُهُمْ عيينة بن حصن، وَكَانَ مَنْ وَافَى الْخَنْدَقَ مِنَ الْكُفَّارِ عَشَرَةَ آلَافٍ فَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَسِيرِهِمْ إِلَيْهِ اسْتَشَارَ الصَّحَابَةَ، [1] وكَانَ ﷺ يُكْثِرُ مُشَاوَرَتَهُمْ فِي الْحَرْبِ، فَقَالَ: أَنَبْرُزُ لَهُمْ مِنْ الْمَدِينَةِ، أَمْ نَكُونُ فِيهَا وَنُخَنْدِقُهَا عَلَيْنَا، أَمْ نَكُونُ قَرِيبًا وَنَجْعَلُ ظُهُورَنَا إِلَى هَذَا الْجَبَلِ؟ فَاخْتَلَفُوا، حتى قَالَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنّا إِذْ كُنّا بِأَرْضِ فَارِسَ وَتَخَوّفْنَا الْخَيْلَ خَنْدَقْنَا عَلَيْنَا، فَهَلْ لَك يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ نُخَنْدِقَ؟ [2]فَأَخذ بمشورة سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ رضي الله عنه بِحَفْرِ خَنْدَقٍ يَحُولُ بَيْنَ الْعَدُوِّ وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَبَادَرَ إِلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ، وَعَمِلَ بِنَفْسِهِ فِيهِ، وَبَادَرُوا هُجُومَ الْكُفَّارِ عَلَيْهِمْ، وَكَانَ فِي حَفْرِهِ مِنْ آيَاتِ نُبُوَّتِهِ، وَأَعْلَامِ رِسَالَتِهِ مَا قَدْ تَوَاتَرَ الْخَبَرُ بِهِ،[3] وَكَانَ حَفْرُ الْخَنْدَقِ أَمَامَ سَلْعٍ، وَسَلْعٌ: جَبَلٌ خَلْفَ ظُهُورِ الْمُسْلِمِينَ، وَالْخَنْدَقُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْكُفَّارِ وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَتَحَصَّنَ بِالْجَبَلِ مِنْ خَلْفِهِ، وَبِالْخَنْدَقِ أَمَامَهُمْ. [4]

الأثر التربوي:

١) أن تواضع الرئيس لمن تحت إمرته، وتساوي القائد والجند في تحمل الشدائد لمرضاة الله ﷻ؛ يرسّخ مبدأ المساواة، ويحفّز على العمل، وهذا هديه ﷺ؛ إذ لما كَانَتْ عُقْبَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَيْ: نَوْبَةُ نُزُولِهِ عن البَعِيرِ قَالَ أَبُو لُبَابَةَ وَعَلِيٌّ رضي الله عنهما: نَحْنُ نَمْشِي عَنْكَ، فظهر مِنْهُ ﷺ غَايَةِ التَّوَاضُعِ وَالْمُوَاسَاةِ مَعَ الرُّفْقَةِ، وَالِافْتِقَارِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؛ [5] فقال ما يشعر بذلك: «مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي، وَلَا أَنَا بِأَغْنَى عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمَا»، كما حقق رَسُولُ اللَّهِ

---

(١) ابن القيم ـ زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٢٤١).

(٢) الواقدي ـ المغازي (٢/٤٤٥) تصرف.

(٣) كخبر الكدية التي عرضت لهم فضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمعول فانهالت بعدما كانت مستصعبة، ينظر ابن هُبَيْرَة ـ الإفصاح عن معاني الصحاح (٨/ ٣١٧).

(٤) ابن القيم ـ زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٢٤١. ٢٤٢).

(٥) الطيبي ـ شرح المشكاة (الكاشف عن حقائق السنن) (٨/ ٢٦٨٧).

ﷺ مبدأ المساواة بين الحاكم والمحكوم؛ ففِي مُبَاشَرَتِهِ الْحَفْرَ بِنَفْسِهِ تَحْرِيضًا لِلْمُسْلِمِينَ عَلَى الْعَمَل ليتأسوا بِهِ فِي ذَلِك. (١)

٢) حُسن التعامل مع الأفكار الوافدة من بلاد الكفر؛ ففيها الجيد وفيها نقيضه، والْمُؤْمِنُ كَيِّسٌ فَطِنٌ، ينتقي منها ما يفيد وينئ بنفسه عما لا يفيد، فحفر الخندق كانت من وسائل الجهاد في بلد فارس تعامل معها النَّبِيّ ﷺ بحكمة وروية وبعد نظر فأقرها عندما رأى أن فيها منفعة للمسلمين.

٣) استثمار الفرص وتسخير المواقف للتعليم ففي قول رَسُول اللهِ ﷺ: «مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي، وَلَا أَنَا بِأَغْنَى عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمَا» تعليم منه ﷺ أمته مكارم الأخلاق، (٢) والحرص على طلبَ الأجر، وإن كان طالبُ الأجرِ عالمًا أو زاهدًا، فإنَّ أحدًا لا يستغني عن الأجر؛ لأن الأجر مزيدُ درجاتِ النعيم، ينبغي أن يحرص عليه كل مؤمن. (٣)

٤) بث روح الحماس في أعضاء الفريق بأي وسيلة ممكنة، وتنشيط وإثارة النية والعزم على العمل والطاعة، فقد ارتجز النّبِيّ ﷺ هذا الرجز ليذكرهم بما يعملون، ولمن يعملون ذلك، ويعرفهم أن الأمر أعظم خطرًا من ابتذالهم وتعبهم، ولا بأس برفع الصوت في أعمال الطاعات إذا لم يكن مضعفًا عنها ولا قاطعًا دونها. (٤)

٥) تولي القائد جزءًا من العمل، أو مشاركتهم فيه؛ له الأثر الإيجابي في سرعة الإنجاز، فقد أُنجز حفر الخندق حول المدينة، قيل: في خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا، وقيل: في عِشْرِينَ لَيْلَةً، وقيل: أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ، وقيل: أَقَامُوا شَهْرًا.(٥)

المبحث الثاني: التأدب بآداب الإسلام وترك ما يخالفها

(١) القاضي عياض . إكمال المعلم بفوائد مسلم (٦/ ١٨٨)، ابن حجر . فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٦/٦) بتصرف.

(٢) ابن الملك . شرح المصابيح (٤/ ٣٦٩).

(٣) البيضاوي . تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة (٣/ ١١) بتصرف.

(٤) ابن بطال . شرح صحيح البخاري وعزاه إلى المهلب بن أبي صفرة (٥/ ١٩٣) بتصرف.

(٥) ابن حجر . فتح الباري شرح صحيح البخاري (٧/ ٣٩٤).

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: كُنَّا فِي غَزَاةٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ المُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمَّعَهَا اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ قَالَ: «مَا هَذَا؟» فَقَالُوا كَسَعَ[1] رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ المُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ»[2] قَالَ جَابِرٌ: وَكَانَتِ الأَنْصَارُ حِينَ قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ أَكْثَرَ، ثُمَّ كَثُرَ المُهَاجِرُونَ بَعْدُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ: أَوَقَدْ فَعَلُوا، وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﷺ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعْهُ لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»[3]

الأحداث الواردة في الحديث:

أ) فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ»

ب) قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعْهُ لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»

الهدي النبوي في معالجة هذه الأحداث

أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَسَعَ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ بِرِجْلِهِ أي ضربه في دُبُره بِيَدِه أَوْ بِرِجْلِه في غَزَاةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ [4]، وَذَلِكَ عِنْدَ أَهْلِ الْيَمَنِ شَدِيدٌ، فاستغاث الأنصاري بالأنصار، واستغاث المهاجري بالمهاجرين، فقال النَّبِيُّ ﷺ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ» أَيْ

---

(١) ضربُ يدٍ أو رجلٍ على دبر شيءٍ وقيل: هُوَ أَن تضرب عجز إِنْسَان بِظهْر قدمك، وَقيل هُوَ ضربه بِالسَّيْفِ على مؤخره، الفراهيدي ـ العين (١/ ١٩٢)، القاضي عياض ـ مشارق الأنوار على صحاح الآثار (١/ ٣٤٧).

(٢) أَيْ مَذْمومة فِي الشَّرع، مُجْتَنَبة مَكْرُوهَةٌ، كَمَا يُجْتَنَبُ الشيءُ النَّتِن. يُريد قولَهم: يَا لَفُلان، ابن الأثير ـ النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١٤).

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح صحيح البخاري (٦/ ١٦) كِتَاب تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَاب قَوْلِهِ: {يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، وَلِلَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ المُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ} [المنافقون: ٨] (٦/ ١٥٤) (٤٩٠٧).

(٤) قيل هذه الحادثة كانت في غزوة بَنِي الْمُصْطَلِقِ والتي يقال لها غزوة المريسيع، أغار رسول الله ﷺ على بني المصطلق، وهم غارون على ماء يقال له: المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل،

دَعْوَةُ الْجَاهِلِيَّةِ مُنْتِنَةٌ أَيْ قَبِيحَةٌ كَرِيهَةٌ مُؤْذِيَةٌ، وأراد عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﷺ قَتَل عَبْد اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ فنهاه النَّبِيُّ ﷺ بقوله: «دَعْهُ لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ» وكان يظهر الإسلام ويبطن النفاق عليه من الله ما يستحق.

الأثر التربوي:

١) جمع الكلمة على التوحيد وترك الفرقة والدعوة بدعوى الجاهلية [١] من عصبيات قبلية، أو جنسية، أو اجتماع للون بشرة، أو حرفة معينة، أو ما يماثلها، فلو أن ذلك المسكوع تأدب بأدب الإسلام لأقام على صاحبه البينة، وأتى به إلى النَّبِيّ ﷺ واقتص له منه، لكنه دعا بدعوى جاهلية، وقابله صاحبه بمثلها، فلما بلغ رَسُولُ اللهِ ﷺ الخبر وصفها بأنَّهَا مُنْتِنَةٌ.

٢) تَرْكُ تغيير بَعْضِ الْأُمُورِ التي يجب تغييرها، خَوْفًا مِنْ أَنْ يترَتَّبَ عَلَى ذَلِكَ مَفْسَدَةٌ أَعْظَمُ مِنْهَا، وهذا نجده فيمَا كَانَ عَلَيْهِ ﷺ مِنَ الْحِلْمِ وَالصَّبْرِ عَلَى بَعْضِ الْمَفَاسِدِ؛ فقال النَّبِيُّ ﷺ لعمر ﷺ: «دَعْهُ لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ». [٢]

٣) الأخذ بالظاهر في التعامل مع الناس، وَاللَّهُ يَتَوَلَّى السَّرَائِرَ، وهذا هدي النَّبِيّ ﷺ فقد اتبع سياسة هي من أعظم السياسات؛ لأن ظاهر عَبْد اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ الإسلام،

فقتل من قتل منهم، وسبى النساء والذرية، ومن ذلك السبي كانت جورية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد بني المصطلق، فوقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس، فكاتبها، فأدى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأعتقها وتزوجها، وقيل غير ذلك، ابن حجر . فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/ ٦٤٩)، السيد الجميلي . غزوات النبي صلى الله عليه وآله وسلم (ص: ٧٢).

(١) كَانُوا يَقُولُونَ فِي الِاسْتِغَاثَةِ يَا لَفُلَانٍ وَيُنَادِي أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ يَنْتَمِي إِلَى أَبِيهِ وَجَدِّهِ لِشَرَفِهِ وَعِزِّهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، الفيومي . المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢/ ٤٠٨).

(٢)القاضي عياض . إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/ ٥٤)، النووي . المنهاج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج (١٣٨/١٦).

ورَسُولُ اللهِ ﷺ أُمِرَ بِالْحُكْمِ بِالظَّاهِرِ، ولم يكلف بالتنقيب عن القلوب، فلو حصل عقوبة نفروا. (١)

٤) في هذا الحديث ما يدل على سوء مغبة اللعب؛ لأنه وإن كانت بدايته تجلب الضحك، فإنه ينتهي إلى ما يكون عاقبته أشد البكاء، (٢) فقد استغاث الأنصاري بالأنصار والمهاجري بالمهاجرين، وكادت أن تكون فتنة عظيمة لولا أن تدارك الله بلطفه، وتدخل رَسُولُ اللهِ ﷺ بقوله: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ».

٥) يلزم الداعي إلى الله الحكمة؛ فقد كَانَ ﷺ يَتَأَلَّف النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى جَفَاءِ الْأَعْرَابِ وَالْمُنَافِقِينَ وَغَيْرِهِمْ لِتَقْوَى شَوْكَةُ الْمُسْلِمِينَ وَتَتِمَّ دَعْوَةُ الْإِسْلَامِ وَيَتَمَكَّن الْإِيمَانُ مِنْ قُلُوبِ الْمُؤَلَّفَةِ، وَيَرْغَب غَيْرُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ، وَكَانَ يُعْطِيهِمُ الْأَمْوَالَ الْجَزِيلَةَ لِذَلِكَ، وَلَمْ يَقْتُلِ الْمُنَافِقِينَ لِهَذَا الْمَعْنَى، وقد كَانُوا مَعْدُودِينَ فِي أَصْحَابِهِ ﷺ، وَيُجَاهِدُونَ مَعَهُ إِمَّا حَمِيَّةً وَإِمَّا لِطَلَبِ دُنْيَا أَوْ عَصَبِيَّةً لِمَنْ مَعَهُ مِنْ عَشَائِرِهِمْ. (٣)

٦) الحذر من كل كلمة تؤدي إلى فرقة، والحرص على جمع الكلمة والتعاون على البر والتقوى، فرب كلمة يقولها المرء تكون سببا في سعادته أو شقاوته قال رَسُولُ اللهِ ﷺ «إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ» (٤)

---

(١)ابن الملقن . التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٢٣/ ٤٠٨) بتصرف.

(٢)يحيى بن هُبَيْرَة . الإفصاح عن معاني الصحاح (٨/ ٢٩١ . ٢٩٢).

(٣)القاضي عياض . إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/ ٥٤)، النووي . المنهاج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج (١٣٨/١٦).

(٤)أخرجه البخاري . الصحيح كِتَابُ الرِّقَاقِ بَابُ حِفْظِ اللِّسَانِ (٨/ ١٠١) (٦٤٨٧).

المبحث الثالث: الغيرة الفطرية وحسن العهد

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: اسْتَأْذَنَتْ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، أُخْتُ خَدِيجَةَ، عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ فَارْتَاعَ [1] لِذَلِكَ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَالَةَ». قَالَتْ: فَغِرْتُ، فَقُلْتُ: مَا تَذْكُرُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ، حَمْرَاءِ الشِّدْقَيْنِ [2]، هَلَكَتْ فِي الدَّهْرِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا. [3]

الأحداث الواردة في الحديث:

أ) فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ فَارْتَاعَ لِذَلِكَ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَالَةَ».

ب) قَالَتْ: فَغِرْتُ، فَقُلْتُ: مَا تَذْكُرُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ، حَمْرَاءِ الشِّدْقَيْنِ، هَلَكَتْ فِي الدَّهْرِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا.

الهدي النبوي في معالجة هذه الأحداث

اسْتَأْذَنَتْ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهِيَ أُخْتُ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَكَانَتْ زَوْجَ الزَّبِيعِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى وَالِدِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ زَوْجِ زَيْنَبَ بِنْتِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ ذَكَرُوهَا فِي الصَّحَابَةِ وَهُوَ ظَاهِرُ هَذَا الْحَدِيثِ وَقَدْ هَاجَرَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ لِأَنَّ دُخُولَهَا كَانَ بِهَا أَيْ بِالْمَدِينَةِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ دَخَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِمَكَّةَ حَيْثُ كَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَعَهُ فِي بَعْضِ سَفَرَاتِهِ فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَيْ صِفَتَهُ لِشَبَهِ صَوْتِهَا بِصَوْتِ أُخْتِهَا فَتَذَكَّرَ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها، فَارْتَاعَ، أَيْ: فَزِعَ، وَالْمُرَادُ مِنَ الْفَزَعِ لَازِمُهُ، وَهُوَ: التَّغَيُّرُ وَوَقَعَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ ارْتَاحَ بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ، أَيِ: اهْتَزَّ لِذَلِكَ سُرُورًا، فقال:

---

(١) وردت عند البخاري: ((فَارْتَاعَ))، بينما وردت عند مسلم في الصحيح ((فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ فَارْتَاحَ لِذَلِكَ فَقَالَ: «اللهُمَّ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ»)) كتاب الْفَضَائِلِ بَاب فَضَائِلِ خَدِيجَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا (٤/ ١٨٨٩) (٧٨)، فَارْتَاعَ، أي أَفْزَعَهُ فَفَزِعَ، الخليل بن أحمد ـ مختار الصحاح (ص: ١٣١)، أما فارتاح لذَلِك، أَي: هش ونشطت نَفسه، القاضي عياض ـ مشارق الأنوار على صحاح الآثار (١/ ٣٠١).

(٢) وصفتها بالدَّرَدِ، وهو سقوط الأسنان من الكِبَر، فلم يبق إلاَّ حمرة اللثات، ابن قرقول ـ مطالع الأنوار على صحاح الآثار (٢/ ٣٠٢).

(٣) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح كِتَابُ المَنَاقِبِ بَابُ تَزْوِيجِ النَّبِيِّ ﷺ خَدِيجَةَ وَفَضْلِهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (٥/ ٣٩) (٣٨٢١).

«اللَّهُمَّ هَالَةَ» أي: اجْعَلْهَا هَالَةَ، وقيل: أَيْ هَذِهِ هَالَةُ، وهذا حرك الغيرة في قلب أم المؤمنين عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَتْ: مَا تَذْكُرُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ، حَمْرَاءِ الشِّدْقَيْنِ هَلَكَتْ فِي الدَّهْرِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا، [1] وهذا من فرط الغيرة، وخِفَّة الشباب، والدَّلال،[2] وَلَمْ يُنْقَلْ فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ أَنَّهُ ﷺ رَدَّ عَلَيْهَا، ولكنه رد عليها في طرق أخرى منها ماروته أم المؤمنين عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ أَثْنَى عَلَيْهَا، فَأَحْسَنَ الثَّنَاءَ، قَالَتْ: فَغِرْتُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: مَا أَكْثَرَ مَا تَذْكُرُهَا حَمْرَاءَ الشِّدْقِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا خَيْرًا مِنْهَا، قَالَ: « مَا أَبْدَلَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ». [3]

الأثر التربوي:

١) من مكارم الأخلاق حُسْنِ الْعَهْدِ وَحِفْظِ الْوُدِّ وَرِعَايَةِ حُرْمَةِ الصَّاحِبِ وَالْعَشِيرِ فِي حَيَاتِهِ وَوَفَاتِهِ؛ فمن صور ذلك: إِكْرَامِ أَهْلِ ذَلِكَ الصَّاحِبِ، فقد هَشَّ النَّبِيّ ﷺ لِمَجِيئِ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أُخْت خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَسُرَّ بِهَا؛ لِتَذَكُّرِهِ بِهَا خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها وَأَيَّامَهَا. [4]

٢) ومن صور حُسْنِ الْعَهْدِ وَحِفْظِ الْوُدِّ، حِفْظِ المعروف والثناء على الصاحب والعشير

---

(١) ابن حجر . فتح الباري شرح صحيح البخاري (٧/ ١٤٠).

(٢) القرطبي . المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/ ٣١٧).

(٣) أخرجه أحمد في مسند أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها . المسند (٤١/ ٣٥٦) (٢٤٨٦٤) بسند ضعيف له متابعات بمجموعها يرتقي بها إلى الحسن لغيره، وهذا السند رجاله ثقات عدا مُجَالِد ابن سعيد قال ابن حجر: ((ليس بالقوي وقد تغير في آخر عمره)) تقريب التهذيب (ص: ٥٢٠)، ومن متابعاته رواية أخرجها الطبراني في مسند عائشة في المعجم الكبير (٢٣/ ١٤) (٢٣) عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ عَائِشَةَ، لكن فيه انقطاعا بين ابن أبي نجيح وعائشة، فإنه لم يسمع منها، وسيرد في الفقرة الأخيرة من الأثر التربوي، ورواية في المعجم الكبير للطبراني (٢٣/ ١٣) (٢١)عَنْ عَبْدِ اللهِ البهي، عَنِ عَائِشَةُ، قال ابن حجر عَنْ عَبْدِ اللهِ البهي: ((صدوق يخطئ))تقريب التهذيب (ص: ٣٣٠).

(٤) النووي . المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٥/ ٢٠٢).

في حياته وبعد مماته؛ فقد رزق النَّبِيّ ﷺ حب خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا [١]، وكان يمدحها ويثني عليها، ويذكر فضائلها؛ لِما اتصل له من الخير بسببها، وفي بيتها. [٢]

٣) ومن صور حُسْنِ الْعَهْدِ وَحِفْظِ الْوُدِّ التواصل مع أحباب وأصدقاء من يحب بالهدايا؛ فكان النَّبِيّ ﷺ يُهدي لخلائل خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فقَالَتْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ((وَإِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيَذْبَحُ الشَّاةَ ثُمَّ يُهْدِي فِي خُلَّتِهَا مِنْهَا)) [٣]

٤) حُسن التصرف واستخدام الرفق في وقته، والغضب في وقته، فلم يرض النَّبِيّ ﷺ انتقاص أم المؤمنين عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من أم المؤمنين خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رغم حبه لها، فقال: «مَا أَبْدَلَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا» [٤]، ثم عدد شيء من مآثرها، حتى قالت: ((وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَذْكُرُهَا بَعْدَ هَذَا إِلَّا بِخَيْرٍ)). [٥]

---

(١) أخرج مسلم بسنده عن أم المؤمنين عَائِشَةَ، قَالَتْ: مَا غِرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، إِلَّا عَلَى خَدِيجَةَ وَإِنِّي لَمْ أُدْرِكْهَا، قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ، فَيَقُولُ: «أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ» قَالَتْ: فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: خَدِيجَةَ فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ «إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا»، كتاب الْفَضَائِلِ بَاب فَضَائِلِ خَدِيجَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا(٤/١٨٨٨)(٧٥).

(٢) القرطبي . المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/ ٣١٧) بتصرف.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح كِتَاب الأَدَبِ بَاب حُسْنُ العَهْدِ مِنَ الإِيمَانِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «مَا غِرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، وَلَقَدْ هَلَكَتْ قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَنِي بِثَلاَثِ سِنِينَ، لِمَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَذْكُرُهَا، وَلَقَدْ أَمَرَهُ رَبُّهُ أَنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، وَإِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيَذْبَحُ الشَّاةَ ثُمَّ يُهْدِي فِي خُلَّتِهَا مِنْهَا» (٨/ ٩) (٦٠٠٤).

(٤) سبق تخريجه في الهدي النبوي في معالجة هذا الحدث.

(٥) الحديث أخرجه الطبراني بسند رجاله ثقات عدا أن فيه انقطاعا بين ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ وأم المؤمنين عَائِشَةَ فقال ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ: عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: دَخَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ امْرَأَةٌ، فَأُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِطَعَامٍ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنَ الطَّعَامِ وَيَضَعُ بَيْنَ يَدَيْهَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَا تَغْمُرْ يَدَيْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ هَذِهِ كَانَتْ تَأْتِينَا أَيَّامَ خَدِيجَةَ، وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ، أَوْ حَفِظَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ» ، وَلَمَّا ذَكَرَ خَدِيجَةَ أَخَذَنِي مَا يَأْخُذُ النِّسَاءَ مِنَ الْغَيْرَةِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِكَبِيرَةِ السِّنِّ حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «مَا ذَنْبِي أَنْ رَزَقَهَا اللهُ مِنِّي الْوَلَدَ، وَلَمْ يَرْزُقْكِ»، قُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَذْكُرُهَا بَعْدَ هَذَا إِلَّا بِخَيْرٍ، المعجم الكبير، مسند النساء مَنَاقِبُ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا (٢٣/ ١٤)(٢٣).

المبحث الرابع: من أكبر المعاصي فاحشة الزنا

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ ....مَهْ فَقَالَ: «ادْنُهْ»، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: «أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ»؟ قَالَ: لَا وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ»، قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ»؟ قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ»، قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ»؟ " قَالَ: لَا وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ» قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ»؟ قَالَ: لَا وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ» قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ»؟ قَالَ: لَا وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ» قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: «اللهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ» قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ. (١)

الأحداث الواردة في الحديث:

١) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا.

٢) قَالَ: «أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ»؟ " قَالَ: لَا وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ».

٣) «أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ»؟ قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ».

٤) «أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ»؟ " قَالَ: لَا وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ».

٥) قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ»؟ قَالَ: لَا وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ».

٦) قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ»؟ قَالَ: لَا وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ».

٧) «اللهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ».

الهدي النبوي في معالجة هذا الحدث:

استنكر الصحابة هذا القول من الشاب لغيرتهم الشديدة على دين الله رضي الله عنهم وأرضاهم، وتعاملوا معه على أن فيه جرأة؛ فزجروه بقولهم ((مَهْ ....مَهْ)) لكن رَسُول اللهِ

(١)الحديث أخرجه أحمد في مسند أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه بسند صحيح (٣٦/ ٥٤٥) (٢٢٢١١).

ﷺ بحكمته وبرفقه تفهم حقيقة ما بداخله من شهوة، وما استقر في نفس الشاب من علم بمدى جرم هذه الفاحشة، والوعيد الشديد لم يفعلها، فبين له مفاسد طلبه، وعواقبه لو اتبع هواه، ولمس جانب الخير فيه، وتعامل معه بمنطق الإقناع وجمع بين الأسلوب العاطفي والعقلي ثم ثبت ذلك بالدعاء، فرجع بفضل الله إلى طريق العفة والاستقامة، فقال ﷺ بداية: «ادْنُهْ» فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، والقرب فيه ما لا يخفى من الحب والحنان والشفقة، ثم ضم إليه الأسلوب العقلي قَالَ: «أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ»؟ وكان يمكنه الاكتفاء بأمه لكن عدد له محارمه زيادة في الإقناع، ودلالة على أن ما قد يأتي من النساء لا تخلو أن تكون أما، أو بنتا، أو أختا، أوعمة، أو خالة.

الأثر التربوي:

١) إقناع المخطئ والتعامل معه برفق، وسيلة ناجحة في علاج كثير من أمراض القلوب، ففي قوله ﷺ «أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ» إثارة غريزة الغيرة لمن استحكمت عنده الشهوة.

٢) إن الدعاء بإخلاص من أنجع الوسائل في علاج الأمراض بشتى أنواعها، والمعضلات مهما كثرت وصعبت، فما أن انتهى رَسُولُ اللهِ ﷺ من إقناعه بالمُحاكَاة العقلية الهادئة حتى دعا له؛ فتحققت العفة.(١)

٣) الإكثار من العبادة والانشغال بها وسيلة من وسائل العفاف، فقد وجه رَسُولُ اللهِ ﷺ من لا يستطيع النكاح بالحلال إلى الصوم فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَر، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ» (٢)

---

(١) علي الحشود ـ الأساليب النبوية في التعليم (ص: ١٧٤) بتصرف.

(٢) أَراد بِالْبَاءَةِ النكاحَ والتَّزْويج، الوجاء بِكَسْر الْوَاو مَمْدُود هُوَ نوع من الخصاء قيل: هو رض الأنثيين، وَقيل: غمز عروقهما، والخصاء شقّ الخصيتين واستيصالهما، شبه مَا يقطع الصَّوْم من النِّكَاح وَيكسر من غلمته بذلك لِأَنَّهُ إِذا صنع بالفحل انْقَطع ذَلِك عَنه، القاضي عياض ـ مشارق الأنوار على صحاح الآثار (٢/ ٢٧٩)، ابن منظور ـ لسان العرب (١/ ٣٦)، والحديث أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الصوم، بَابٌ: الصَّوْمُ لِمَنْ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ العُزْبَةَ (٣/٢٦) (١٩٠٥).

المبحث الخامس: الإيثار مع الحاجة

عَنْ سَهْلٍ ﷺ: «أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتِ النَّبِيَّ ﷺ بِبُرْدَةٍ مَنْسُوجَةٍ، فِيهَا حَاشِيَتُهَا» [1]، أَتَدْرُونَ مَا البُرْدَةُ؟ قَالُوا: الشَّمْلَةُ،[2] قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: نَسَجْتُهَا بِيَدِي فَجِئْتُ لِأَكْسُوَكَهَا، «فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارُهُ»، فَحَسَّنَهَا فُلاَنٌ، فَقَالَ: اكْسُنِيهَا، مَا أَحْسَنَهَا، قَالَ القَوْمُ: مَا أَحْسَنْتَ، لَبِسَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، ثُمَّ سَأَلْتَهُ، وَعَلِمْتَ أَنَّهُ لاَ يَرُدُّ، قَالَ: إِنِّي وَاللَّهِ، مَا سَأَلْتُهُ لِأَلْبَسَهُ، إِنَّمَا سَأَلْتُهُ لِتَكُونَ كَفَنِي، قَالَ سَهْلٌ: فَكَانَتْ كَفَنَهُ. [3]

الأحداث الواردة في الحديث:

أ) «فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارُهُ»

ب) فَحَسَّنَهَا فُلاَنٌ، فَقَالَ: اكْسُنِيهَا، مَا أَحْسَنَهَا.

ت) قَالَ: إِنِّي وَاللَّهِ، مَا سَأَلْتُهُ لِأَلْبَسَهُ، إِنَّمَا سَأَلْتُهُ لِتَكُونَ كَفَنِي، قَالَ سَهْلٌ: فَكَانَتْ كَفَنَهُ.

الهدي النبوي في معالجة هذا الحدث:

أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلم بِبُرْدَةٍ عملتها بيدها، هدية منها له صَلى الله عَلَيهِ وسَلم، وإن لم يُعرف اسمها فقد بقي لها الأجر والمثوبة، فقبلها النَّبِيّ ﷺ وأخذها ولبسها وهو محتاج إليها، فخرج إلى صحابته –رضوان الله عليهم– يلبسها إزارا يغطي الجزء الأسفل من جسده، فأُعجب بها رجل منهم، قيل: هُوَ عبد الرَّحْمَن بن عَوْف، وقيل: سعد بن أبي وَقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما،[4] وقيل أعرابي، [5] فاستحسنها وطلبها من النَّبِيّ صَلى الله عَلَيهِ وسَلم، لكن الصحابة رضوان الله عليهم لم يستحسنوا طلبه؛ لحاجة النَّبِيّ صَلى الله

---

(١) حاشية الثَّوب طرفه، وَقد تكون الْحَاشِيَة هُنَا الْعلم، أَو تكون عبارَة عَن جدَّتهَا وَإِن حاشيتها الَّتِي شدت بِهِ فِي منوالها لم تفصل مِنْهَا بعد لجدتها، وَإِنَّهَا لم تلبس بعد، القاضي عياض . مشارق الأنوار على صحاح الآثار (١/ ٢١٤).

(٢) هُوَ كسَاء يشْتَمل بِهِ، وَقيل إِنَّمَا الشملة إِذا كَانَ لَهَا هدب، وَقَالَ ابْن دُرَيْد هُوَ كسَاء يؤتزر بِهِ، القاضي عياض . مشارق الأنوار على صحاح الآثار (٢/ ٢٥٣).

(٣) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الجنائز، بَابُ مَنِ اسْتَعَدَّ الكَفَنَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يُنْكَرْ عَلَيْهِ (٢/ ٧٨) (١٢٧٧).

(٤) ابن حجر . فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/ ٢٦٨).

(٥) الكوراني . الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري (٣/ ٣٠٥).

عَلَيهِ وسَلم لها، فبين مراده من ذلك أن تكون له كفنا متبركا بلبس النَّبِيّ صَلى الله عَلَيهِ وسَلم لها، فآثره النَّبِيّ صَلى الله عَلَيهِ وسَلم على نفسه.

الأثر التربوي:

١) إن للهدية أثرا في القلوب، وقد حث عليها النَّبِيّ صَلى الله عَلَيهِ وسَلم فقال: «تَهَادُوا تَحَابُّوا»، [١] وقبولها يدل على التواضع، وقد قبل رَسُول اللهِ ﷺ هدية المرأة؛ وهو بذلك يضرب لنا مثلا في حُسن الخلق.

٢) أفضل ما ينظر فيه في وقت المهل وفسحة الأجل، الاستعداد للمعاد، وقد استعد الصحابي لميعاده؛ بإعداد كفنه، وهي البردة التي أهديت للنبي ﷺ. [٢]

٣) إن الحاجة ليست بالضرورة مالية، فقد تكون معنوية، وعلى السائل أن يسأل بالمعروف.

٤) فضل الإيثار فهو سمة الأنبياء والصالحين وله الأثر البالغ على النفس.

٥) جَوَازُ اسْتِحْسَانِ الْإِنْسَانِ مَا يَرَاهُ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْمَلَابِسِ وَغَيْرِهَا؛ إِمَّا لِيُعَرِّفَهُ قَدْرَهَا؛ وَإِمَّا لِيُعَرِّضَ لَهُ بِطَلَبِهِ مِنْهُ حَيْثُ يَسُوغُ لَهُ ذَلِكَ. [٣]

٦) وَفِيهِ مَشْرُوعِيَّةُ الْإِنْكَارِ عِنْدَ مُخَالَفَةِ الْأَدَبِ ظَاهِرًا وَإِنْ لَمْ يَبْلُغِ الْمُنْكَرُ دَرَجَةَ التَّحْرِيمِ. [٤]

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص: ٢٠٨) (٥٩٤) بسند حسن فيه ضمام بن إسماعيل المرادي قال ابن حجر: ((صدوق ربما أخطأ)) تقريب التهذيب (ص: ٢٨٠).

(٢) ابن بطال ـ شرح صحيح البخاري (٣/ ٢٦٧).

(٣) ابن حجر ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري (٣/ ١٤٤).

(٤) ابن حجر ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري (٣/ ١٤٤).

الخاتمة

نتائج البحث:

١) احتوى البحث على تسعة أحاديث، فيها أحداث وقعت في العهد النبوي، للوقوف على هديه ﷺ في معالجة هذه الأحداث واستنباط الأثر التربوي وللاقتداء والاهتداء.

٢) إن المؤمن الحق لا ينسى المعروف لمن أسدى إليه معروفا، وأول صور رد المعروف هو الاعتراف بالفضل ثم مقابلة الجميل بالأجمل.

٣) ينبغي أن يتجاوز المسلم، ويعفو عن أخيه المسلم فكل ابن آدم خطَّاء، وقبول العذر ممن اعتذر دليل على التواضع وطيب النفس، وما اعتذر لك إلا من راعى ودك، وحفظ عهدك.

٤) التخطيط السليم والترتيب المتقن للأمر يستلزم اسْتِشَارَةُ الْأَصْحَابِ، ومعرفة الرأي من أهله قبل الفعل، وهذا يثمر نجاح المهمة.

٥) إن القائد الناجح في كل عمل هو من يحسن اختيار بطانته الصالحة ليجدهم حوله وقت حاجته. لهم.

٦) بث كل ما يقوي من عزائم الآخرين ويشد من أزرهم؛ بتقوية الثقة بالله، مع الأخذ بالأسباب، فرَسُولُ اللهِ ﷺ بث ما يقوي عزائم الصحابة رضوان الله عليهم، بما وقر في نفسه من ثقته بالله بالتمكين والنصر، فحدد أماكن مقتل رؤساء الكفار ليستقن الصحابة أن النصر لهم، وأن الدائرة ستدور على أعدائهم.

٧) من أساليب الوصول لحقيقة الأمر ضرب المتهم وتخويفه، ليُستخبر ما عنده من علم، فقد ضرب الصحابة رضوان الله عليهم الغلام الأسير وهو كافر ولا عهد له؛ ليستخبروا ما عنده من سر العدو، ويحتج به في تهديد الحكام للمتهمين ليصدقوا عن أحوالهم، وينكشف لهم تهمتهم.

٨) الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية، وهو وارد بين البشر، فقد رأي أبو بكر ﷺ رأيًا، ورأى عمر ﷺ رأيًا مختلفًا، وكان كل من القولين خارجًا مخرجه.

٩) أن البكاء في البشر فطرة، وتنفيس عن النفس، وقد يُهَيِج البكاء، بكاء غيره، والتباكي جائز من كل مخلص إذا كان من خشية الله.

١٠) حُسن التعامل مع الأفكار الوافدة من بلاد الكفر؛ ففيها الجيد وفيها نقيضه، والْمُؤْمِنُ كَيِّسٌ فَطِنٌ، ينتقي منها ما يفيد وينئ بنفسه عما لا يفيد، فحفر الخندق كانت من وسائل الجهاد في بلد فارس تعامل معها النَّبِيّ ﷺ بحكمة وروية وبعد نظر فأقرها عندما رأى أن فيها منفعة للمسلمين.

١١) إن ترسيخ مبدأ التوحيد من المُسلَّمات التي لا يُجَادل، ولا يسامح فيها، بل ينبغي أن يحرص عليها كل داعٍ إلى الله ﷻ، وخاصة مع من كان حديث عهد بكفر، أو نشأ على سلوكيات تؤدي إلى كفر وهو في غفلة عنها، وهذا يبدو جليا في موقفه ﷺ عندما مروا بالشجرة وطلبوا أن يكون لهم مثلها.

١٢) تَرْكُ تغيير بَعْضِ الْأُمُورِ التي يجب تغييرها، خَوْفًا مِنْ أَنْ يتَرَتَّبَ عَلَى ذَلِكَ مَفْسَدَةٌ أَعْظَمُ مِنْهَا، وهذا نجده فيمَا كَانَ عَلَيْهِ ﷺ مِنَ الْحِلْمِ وَالصَّبْرِ عَلَى بَعْضِ الْمَفَاسِدِ؛ فقال النَّبِيُّ ﷺ لعمر رضي الله عنه: «دَعْهُ لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ».

١٣) سوء مغبة اللعب؛ لأنه وإن كانت بدايته تجلب الضحك، فإنه ينتهي إلى ما يكون عاقبته سيئة جدا.

١٤) من مكارم الأخلاق حُسْنِ الْعَهْدِ وَحِفْظِ الْوُدِّ وَرِعَايَةِ حُرْمَةِ الصَّاحِبِ وَالْعَشِيرِ فِي حَيَاتِهِ وَوَفَاتِهِ.

١٥) إقناع المخطئ والتعامل معه برفق، وسيلة ناجحة في علاج كثير من أمراض القلوب، ففي قوله ﷺ «أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ» إثارة غريزة الغيرة لمن استحكمت عنده الشهوة.

١٦) إن الدعاء بإخلاص من أنجع الوسائل في علاج الأمراض بشتى أنواعها، والمعضلات مهما كثرت وصعبت، فما أن انتهى رَسُولُ اللهِ ﷺ من إقناعه بالمُحاكَاة العقلية الهادئة حتى دعا له؛ فتحققت العفة.

١٧) أفضل ما ينظر فيه في وقت المهل وفسحة الأجل، الاستعداد للمعاد.

التوصيات:

وبعد هذه الرحلة القصيرة الماتعة في سيرة النَّبِيُّ ﷺ العطرة، ورغم كل من كتب فيها، تظل مجالًا خصبًا وعامرًا بالمواقف التربوية التي يقتبس منها، ويستفاد حلولًا لمواقف شتى، فالمجال واسع والأبواب مشرعة لكل باحث في هديه ﷺ.

المصادر والمراجع

١) الأدب المفرد لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، (المتوفى: ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ – ١٩٨٩، عدد الأجزاء: ١.

٢) الأساليب النبوية في التعليم علي بن نايف الشحود، نشر: بهانج دار المعمور، الطبعة: الأولى١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م، [حقوق الطبع لكل مسلم] المصدر: الشاملة الذهبية.

٣) الاستذكار لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ – ٢٠٠٠، عدد الأجزاء: ٩.

٤) الإصابة في تمييز الصحابة لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ، عدد الأجزاء: ٨.

٥) الإفصاح عن معاني الصحاح لأبي المظفر، يحيى بن هُبَيْرَة بن محمد الشيبانيّ (المتوفى: ٥٦٠هـ) تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، نشر: دار الوطن، سنة النشر: ١٤١٧هـ، عدد الأجزاء: ٨.

٦) إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم لأبي الفضل القاضي عِيَاض بن موسى بن عياض اليحصبي (المتوفى: ٥٤٤هـ)، تحقيق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، نشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م، عدد الأجزاء: ٨.

٧) إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال: لأبي عبد الله، علاء الدين مغلطاي بن قليج الحنفي، (المتوفى: ٧٦٢هـ)، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد – أبو محمد أسامة بن إبراهيم، نشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ١٢.

٨) الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة لأبي بكر محمد بن موسى الحازمي (المتوفى: ٥٨٤هـ)، تحقيق: حمد بن محمد الجاسر، نشر: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، عام النشر: ١٤١٥ هـ، عدد الأجزاء: ١.

٩) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة للقاضي ناصر الدين عبد الله البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) تحقيق: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، نشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، عام النشر: ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢م، عدد الأجزاء: ٣.

١٠) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي لأبي العلا محمد بن عبد الرحمن المباركفوري (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، عدد الأجزاء: ١٠.

١١) تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم لأبي عبد الله محمد الحَمِيدي بن أبي نصر (المتوفى: ٤٨٨هـ)، تحقيق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، نشر: مكتبة السنة – القاهرة – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ – ١٩٩٥، عدد الأجزاء: ١.
١٢) تقريب التهذيب لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد عوامة، نشر: دار الرشيد – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ – ١٩٨٦، عدد الأجزاء: ١.
١٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح لأبي حفص عمر بن علي ابن الملقن (المتوفى: ٨٠٤هـ) المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، نشر: دار النوادر، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م، عدد الأجزاء: ٣٦ (٣٣ و ٣ أجزاء للفهارس).
١٤) رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام لأبي حفص عمر بن علي تاج الدين الفاكهاني (المتوفى: ٧٣٤هـ)، تحقيق ودراسة: نور الدين طالب، نشر: دار النوادر، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م، عدد الأجزاء: ٥.
١٥) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر (المتوفى: ٧٥١هـ)، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م، عدد الأجزاء: ٥.
١٦) سنن أبي داود لأبي داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، عدد الأجزاء: ٤.
١٧) سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، (المتوفى: ٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، نشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م، عدد الأجزاء: ٥ أجزاء.
١٨) شرح صحيح البخارى لأبي الحسن علي بن خلف ابن بطال (المتوفى: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ١٠.
١٩) غزوات النبي صلى الله عليه وآله وسلم للسيد الجميلى، نشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت، تاريخ النشر: ١٤١٦ هـ، عدد الأجزاء: ١.
٢٠) فتح الباري شرح صحيح البخاري لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الشافعي، نشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد

عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، عدد الأجزاء: ١٣.
٢١) كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (المتوفى: ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، نشر: دار ومكتبة الهلال، عدد الأجزاء: ٨.
٢٢) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري: لمحمد بن يوسف شمس الدين الكرماني (المتوفى: ٧٨٦هـ)، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، طبعة أولى: ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م، طبعة ثانية: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، عدد الأجزاء: ٢٥.
٢٣) الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري لأحمد بن إسماعيل الكوراني الشافعي ثم الحنفي المتوفى ٨٩٣هـ، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، عدد الأجزاء: ١١.
٢٤) لسان العرب لجمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، نشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ، عدد الأجزاء: ١٥.
٢٥) المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث لأبي موسى محمد بن عمر بن أحمد المديني، (المتوفى: ٥٨١هـ)، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، نشر جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، جـ ١ (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م)، جـ ٢، ٣ (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م)، عدد الأجزاء: ٣.
٢٦) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، نشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م، عدد الأجزاء: ٢.
٢٧) مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لصفيّ الدين عبد المؤمن بن عبد الحق القطيعي (المتوفى: ٧٣٩هـ)، نشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ، عدد الأجزاء: ٣.
٢٨) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لأبي الحسن نور الدين علي بن سلطان الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، نشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: ٩.
٢٩) مسند الإمام أحمد بن حنبل لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله ابن عبد المحسن التركي، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٣٠) مشارق الأنوار على صحاح الآثار لأبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي، (المتوفى: ٥٤٤هـ)، نشر: المكتبة العتيقة ودار التراث عدد الأجزاء: ٢.
٣١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، نشر: المكتبة العلمية – بيروت، عدد الأجزاء: ٢ (في مجلد واحد وترقيم مسلسل واحد).
٣٢) مطالع الأنوار على صحاح الآثار لأبي إسحاق إبراهيم بن يوسف ابن قرقول (المتوفى: ٥٦٩هـ) تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث نشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – دولة قطر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م، عدد الأجزاء: ٦.
٣٣) معالم مكة التأريخية والأثرية لعاتق بن غيث البلادي الحربي (المتوفى: ١٤٣١هـ) نشر: دار مكة للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، عدد الأجزاء: ١.
٣٤) معجم البلدان لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، نشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م، عدد الأجزاء: ٧.
٣٥) المعجم الكبير لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية، عدد الأجزاء: ٢٥، ويشمل القطعة التي نشرها لاحقا المحقق الشيخ حمدي السلفي من المجلد ١٣ (دار الصميعي – الرياض / الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م).
٣٦) معجم الْمَعَالِمِ الْجُغْرَافِيَّةِ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ لعاتق بن غيث البلادي الحربي (المتوفى: ١٤٣١هـ)، نشر: دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، عدد الأجزاء: ١.
٣٧) معرفة الصحابة لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ) تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، نشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، عددالأجزاء: ٧ (٦ أجزاء ومجلد فهارس).
٣٨) المغازي لأبي عبد الله محمد بن عمر الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ) تحقيق: مارسدن جونس، نشر: دار الأعلمي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٩/ ١٩٨٩،عدد الأجزاء: ٣.
٣٩) المفصل في شرح حديث «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ لعلي بن نايف الشحود، المصدر: الشاملة الذهبية.
٤٠) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي (٥٧٨ - ٦٥٦ هـ) حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب- أحمد محمد السيد -

يوسف علي بديوي – محمود إبراهيم بزال، نشر: (دار ابن كثير، دمشق – بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق – بيروت)، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م، عدد الأجزاء: ٧.

٤١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢، عدد الأجزاء: ١٨ (في ٩ مجلدات).

٤٢) النَّظْمُ المُسْتَعْذَبُ فِي تفْسِير غريبِ أَلْفَاظِ المهَذّبِ لأبي عبد الله محمد بن أحمد ابن بطال المعروف ببطال (المتوفى: ٦٣٣هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: د. مصطفى عبد الحفيظ سَالِم، نشر: المكتبة التجارية، مكة المكرمة، عام النشر: ١٩٨٨ م (جزء ١)، ١٩٩١ م (جزء ٢)، عدد الأجزاء: ٢.

٤٣) النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، نشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، عدد الأجزاء: ٥.